مَنْ أُلقِمَ الحَجَرَ إذْ كَذَبَ وَفَجَرَ

وَأسقَطَ عَدَالَةَ مَنْ قَالَ مِنَ الصَّحَابَةِ : مَا لَهُ أَهَجَر

تأليف

الإمام الحافظ أبي الخطاب عمر بن الحسن بن علي ابن دحية الكلبي السبتي

المتوفى ٦٣٣هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور عبد العزيز فارح

مراجعة وتقديم

الدكتور أحمد حدادي



مَنْ أَلْقَمَ الحَجَرَ إِذْ كَذَبَ وَفَجَرَ

وَأَسْقَطَ عَدَالَةَ مَنْ قَالَ مِنَ الصَّحَابَةِ: مَا لَهُ أَهَجَرَ

تأليف

الإمام الحافظ أبي الخطاب عمر بن الحسن بن علي ابن دحية الكلبي السبتي

المتوفى سنة ٦٣٣هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور عبد العزيز فارح

مراجعة وتقديم

الدكتور أحمد حدادي




بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

لابد من كلمة شكر وتقدير وعرفان للأستاذ عبد العزيز الساوري فهو الذي دلني على النسخة الخطية الفريدة لهذا الكتاب، وقد كان دائما وما زال رحب الصدر لا يبخل- على كل من قصده وسأله-بالمعلومات القيمة والمساعدات التي يضن بها كثير من الناس، فله جزيل الشكر والامتنان.

تقديم بقلم الأستاذ أحمد حدادي*

الحمد لله وحده وصلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

لئن قدر لسبته أن تحتجب عنا بآثارها التي أرخ لها أبو القاسم الأنصاري رحمه الله في تحفته الموسومة، فإنها لم تحتجب عنا بنوادر كتبها وفوائد أعلامها وفرائد أبنائها وغير ذلك من النفحات التي تهب علينا من حين لآخر، كالشمأل، لتنعش النفوس وتطرب العقول وتهز الكيان:

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

إنه ليحق لنا أن نقول لأولئك الذين ما زالوا يتشبثون باستلابها وطمس آثار الإسلام والعروبة فيها: إن سبته رافعة راية المعرفة باليمين كما رفعها عرابة الأوسي منقطع القرين، متحدية راغمة أنف الأعداء أطماعهم

إن سبته بحكم كونها ثغرا خطيرا قديما تشكل شجا في حلق كل أفاك أثيم. فهي ذات العزة القعساء، لأنها كانت من أعظم العواصم العالمية تخطيطا وثقافة وشهرة وأقدمها تأسيسا وبناء.

أما علماؤنا فكانوا من النباهة والذكاء والفطانة وحب المغامرة بحيث إنهم جابوا الآفاق وخبروا بالمعرفة والحذق، ما بين المحيط الأطلسي وصين الصين وخان بالق، وقوام الدين السبتي الذي اغرورقت عيناه بالدموع لما التقى به ابن بطوطة، سابقا إياه إليها هو وثلة من الأولين إلى تلك الديار، شاهد عدل وبرهان واضح على ذلك. إنها لتجربة إنسانية

* كان رحمه الله أستاذًا للأدب المغربي والأندلسي، قسم الدراسات العليا بكلية الآداب بوجدة، والمسؤول العلمي بمعهد الأبحاث والدراسات في التراث الإسلامي بالكلية. وعضو المجلس العلمي بوجدة، قبل أن يعين رئيسًا للمجلس العلمي المحلي بفكيك جنوب شرق المغرب.

فريدة، وكان السبتي يحب المغامرة البحرية والمغامرة العقلية، فمغامرة البحر بحكم الجراءة عليه بصنع ذات الألواح والدسر والحذق في ذلك، ولهذا ركبوه غير هيابين حتى ذللوا ما شمس منه، وأما مغامرة العقل فتتمثل في فكر علمائها ونبوغهم وسبقهم إلى كثير من الفضائل وتخليد المآثر. ومنها على سبيل المثال لا الحصر مدرسة الشآري الحديثية التي خدمت هذا العلم وبرزت فيه، وهذا أبو الحسين ابن أبي الربيع صاحب الحلقة العلمية المشهورة في النحو ونائبه الطالب الذكي الشلوبين، فقد كان أبو الحسين زين الدنيا والدين وليس له قرين في هذا الفن وهو صاحب الأوضاع المشتهرة كالقوانين والبسط وغيرهما، ولا يمكن مقارنته، في الذكاء وجودة الذهن وصفاء الفكرة، إلا بسيبويه، ويصدق عليه ما قال بعضهم في ابن الماجشون «كلما تذكرت أن الأرض تأكل لسان عبد الملك هانت الدنيا في عيني» وهذا من ذلك الصنف.

ومن هؤلاء السابقين إلى الخيرات القاضي عياض السبتي الذي اعترف له ابن الصلاح صاحب المقدمة بالتبريز بعد أن عجب من أن تكون المشارق بالمغرب. وفي ذلك تورية عجيبة، لأن مشارق الأنوار للقاضي أحسن سبكا وأشمل فوائد وأضبط منهجا من جميع كتب غريب الحديث وذلك لما فيه من الاستدراكات العجيبة والتنبيهات للوهم والإيهام والمؤتلف والمختلف ومن أطلع على غريب الهروي وغريب ابن قتيبة وفائق الزمخشري ونهاية ابن الأثير يدرك ذلك. وتلك عبقرية سبتية لا نظير لها. هذا إذا أضفنا إليها بعض الاستدراكات التي جادت بها قريحة ابن قرقول في مختصره المعروف بمطالع الأنوار.

وبهذا يكون للغرب الإسلامي سبقه إلى كثير من المكرمات وذلك للرد على بعض المتنطعين. ومن هؤلاء أيضا عبد المنعم الحميري الذي

ضمن روضه المعطار ما لا نجده في معاجم البلدان وذلك في حسن الاختيار والاختصار وضبط الفوائد وتهذيب المعارف، إذ إنك لا تطلع فيه على تراجم البلدان والأقطار فحسب وإنما تستفيد منه أدبا وتاريخا وفقها ونحوا ولغة، هذا إلى غرائب الفوائد في المسائل الاجتماعية والاقتصادية والتدبير والنظم. وأحسن دليل على ذلك أن الحميري أورد في ترجمة سبته فائدة نحوية قد لا نجدها في كتب النحو واللغة، وهي أن النسبة إلى سبته سبتي بكسر السين وإلى البصرة بصري بكسر الباء وذلك على غير قياس وإنني لم أجد هذه الفائدة في غير هذا المعجم، ولهذا قلت في نفسي: أردت زيدا وأراد الله خارجة، كنت أبحث عن البلد فصادفت فائدة نحوية تكتب بسواد العين، لأن معظم الناس يقولون سبتي وبصري بفتح الحرف الأول في كلا الاسمين، فليتهم انتبهوا إلى هذه القاعدة، وهذا ليس عجيبا من سبتي يعلمك اللغة والنحو في معجم من معاجم البلدان بل إننا نجد فيها فوائد كيميائية وطبيعية وزراعية وغيرها...

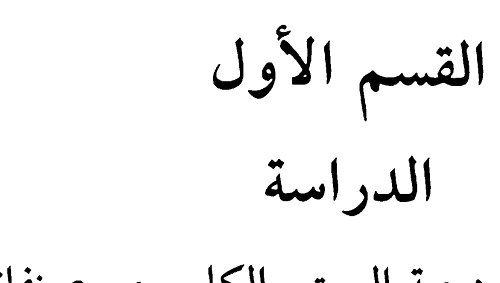
وإذا شئنا أن نستعرض تراجم النابغين من أهل سبته فإن كتب الفهارس والمشيخات حافلة بذلك وفي النماذج التي ذكرنا كفاية، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

وإن الكتاب الجيد إلي يمثل نصا فريدا لذيذا قد يندر وجوده ولكن عند غير السبتيين، وابن دحية سبتي يتحفك بالفوائد علي الطريقة التي ذكرنا فهو يتحفك بفوائد لغوية من حيث لا تحتسب ومن ذلك مثلا أنه يضبط في مطربه لفظة صقلية بفتح الصاد على خلاف الناس وكيف لا وهو حجة في غريب اللغة كما تذكر بعض تراجمه، وهو بالإضافة إلى ذلك أديب وناقد ومحدث.

وبناء على ما سبق فإنني عندما عرض علي أخي الكريم الأستاذ عبد العزيز فارح مراجعة هذا الكتاب لم أتردد لحظة لأنني مغرم بفكر السبتيين وعلومهم فقد عشت مع كبير مشيخة المغرب، ابن رشيد، كما يقول العلامة ابن خلدون، سنين عددا، ولهذا كنت أعرف مسبقا أني سأستفيد وسأعلق منه فوائد وفرائد لم أكن قد أطلعت عليها، وعندما قرأت مقدمة الأستاذ المحقق وجدت أن صديقي العزيز الأستاذ المحقق عبد العزيز الساوري هو الذي أتحفه بمخطوطة هذا الكتاب وبذلك تيقنت أن هذا النص عزيز أيضا لأن اسم المعطي واسم المعْطَى يشتمل على عبد العزيز وهذا عند السلف الصالح يلمح إلى التفاؤل والخير والبركة، فتوكلت على الله، فحصل ما كنت أرغب فيه وأتوقعه ألا وهي الفائدة العظمى، وإنني لن أشير إلى شيء من ذلك حتى يكون لدى الطالب اللبيب همة وتشوق للاطلاع على الكتاب ليستخرج ما شاء منه بنفسه، وبعد ذلك سيحكم على الكتاب، ولا شك، بالجودة وعظم الفائدة.

وإنما أنبه إلى مسألة وهي: أنني لا أدري كيف أصنف هذا الكتاب في جنس معين، أهو كتاب في سيرة النبي ﷺ وشمائله أم هو كتاب في غريب الحديث الشريف أو هو كتاب في غريب اللغة والأدب أم هو كتاب في علم الكلام بحكم الرد على أولئك الذين في قلوبهم شيء من الشك والريب، ولكن لسنا في حاجة إلى هذا الجواب، لأن الكتاب يشتمل على كل ذلك بالرغم من قلة عدد صفحاته وليس العبرة بكثرة الأوراق ولكن العبرة بما أفاد ابن دحية وأتحف.

أعان الله كل من عمل في سبيل إضافة لبنة إلى بناء المعرفة وهو يرمي إلى الإتمام والإكمال، وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.



القسم الأول

الدراسة

التعريف بابن دحية السبتي الكلبي وبمصنفاته



مقدمة

يعد الإمام الحافظ أبو الخطاب مجد الدين بن دحية الكلبي السبتي من أشهر علماء الحديث الذين أنجبهم المغرب. ذاع صيته في المشرق والمغرب، وألف كتبا مشهورة أغلبها في الحديث وشمائل الرسول ﷺ وخصائصه ومولده، تتميز بأسلوب خاص، ومنهج فريد، ينبئان عن علو كعبه وسعة اطلاعه ومعرفته بالحديث النبوي والسيرة النبوية وما يخدمهما من علم الجرح والتعديل، ونقد الأخبار، واللغة، والتاريخ، والأنساب...

وقد حازت قبول واستحسان الناس في عهده وبعده، وقربه بفضلها عدد من ملوك وأمراء عصره في مصر وإربل خاصة كما سيأتي ذلك في ترجمته.

* * * *



الفصل الأول

الحافظ ابن دحية حياته وآثاره

المبحث الأول: اسمه ونسبه

هو مجد الدين أبو الخطاب عمر بن حسن[١] ابن علي بن محمد الجُمَيل[٢] ابن فرح بن خلف بن قومس بن مزلان بن ملال بن بدر بن أحمد ابن دحية الكلبي[٣] الداني[٤] السبتي[٥]، وقد اشتهر عند العلماء بأبي الخطاب ابن دحية[٦] وأحيانا: بابن دحية وأما هو فكان يسمي نفسه ذا النسبين، ويكتب في مقدمات كتبه: قال ذو النسبتين، أو قال ذو النسبين بين دحية والحسين رضي الله عنهما، ويعني بذلك أنه من ولد الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه، وأنه سبط سيدنا الحسين من قبل جده لأمه إذ إن والدة جده علي الملقب بالجميل هي ابنة الشريف أبي

---

(١) اسم أبيه، هذا ما جاء في «أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب» (ص١٠) من النسخة المطبوعة بتحقيق زهير الشاويش، وفي الابتهاج في أحاديث المعراج المحفوظة (ص١١) بتحقيق د. رفعت فوزي عبد المطلب.

(٢) هو لقب تصغير للجمل لأنه كان طويل العنق، وفيات الأعيان (٢/٤٤٨).

(٣) دحية الكلبي هو الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي الذي كان جبريل عليه السلام ينزل في صورته، ذلك ما جاء في سيرة ابن هشام (٣/١٨٤).

(٤) نسبة إلى دانية، أشهر مدن الأندلس كان أهلها أقرأ أهل الأندلس.

(٥) نسبة إلى مدينة «سبتة» المغربية التي كانت منارة علم ومركز إشعاع إلى أن احتلها الإسبان. وممن وصفه بالسبتي: الذهبي في تذكرة الحفاظ (٤/١٤٢٠)، والسير (٢٢/٣٨٩).

(٦) النكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر (ص٣٥٧).

البسام العلوي الحسيني الكوفي، ثم الأندلسي[١] وإلى هذين النسبين يشير في قصيدته التي يمدح فيها السلطان الكامل ابن أيوب ملك مصر[٢]:

بقيت لعبد جده دحية الذي ... يشابه جبريل له ويضارع
وجدته الزهراء بنت محمد ... عليه السلام الدائم المتتابع

وقال ابن خلكان: «كان يذكر أن أمه أمة الرحمن بنت أبي عبد الله أبي البسام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن علي بن محمد بن علي ابن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما» وكان يكتب أيضا «سبط أبي البسام» إشارة إلى ذلك[٣].

إلا أن عددا من العلماء والمؤرخين أنكروا عليه انتسابه إلى دحية الكلبي وعدوا قوله ذلك تكبرا ورعونة ودخولا فيما لا يعنيه، بل كذبا وإفكا بدليل أن دحية لم ينجب، فقال ابن عنين، وهو أحد المعاصرين والمعارضين له:

دحية لم يعقب فلم تعتزي ... إليه بالبهتان والإفك
ما صح عند الناس شيء سوى ... أنك من كلب بلا شك[٤]

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/١٨٣).
(٢) من قصيدة بها ستة وأربعون بيتا أثبتها الغبريني في عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية (ص١٦٦-١٦٨).
(٣) وفيات الأعيان (٣/٤٤٩).
(٤) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن الأمياطي (ص٢٠٨). سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٩١).

وقال ابن النجار بعدما ساق نسبه: «ونسبه ليس بصحيح فيما يقوله، ودحية لم يعقب»[١].

وإلى مثل هذا أشار الإمام الذهبي في كتبه التي ترجم فيها لابن دحية فقال في سير أعلام النبلاء: «هكذا ساق نسبه، وما أبعده من الصحة والاتصال وكان يكتب لنفسه: «ذو النسبين بين دحية والحسين»[٢].

وقال في ميزان الاعتدال بعدما ذكر نسبه: «فهذا النسب باطل لوجوه: أحدهما: أن دحية لم يعقب.

الثاني: أن على هؤلاء - أي آباؤه وأجداده - لوائح البربرية.

وثالثها: بتقدير وجود ذلك فقد سقط منه آباء فلا يمكن أن يكون بينه وبينه عشرة أنفس»[٣].

وقال أيضا: «وكان يحمق ويتكبر، ويكني نفسه، ويكتب: ذو النسبين دحية والحسين، فلو صدق في دعواه لكان ذلك رعونة، كيف وهو متهم في انتسابه إلى دحية الكلبي الجميل صاحب رسول الله ﷺ، وإنما جرأه على ذلك لأنه كلبي نسبة إلى موضع من ساحل دانية، ويقال: الكلفي بين الباء والباء، ولهذا كان يكتب أولا الكلبي معا»[٤].

وأما الحافظ ابن حجر فنقل في «لسان الميزان» أقوال عدد من المجرّحين لأبي الخطاب بن دحية والمشككين في نسبه ثم قال: «وفي

---

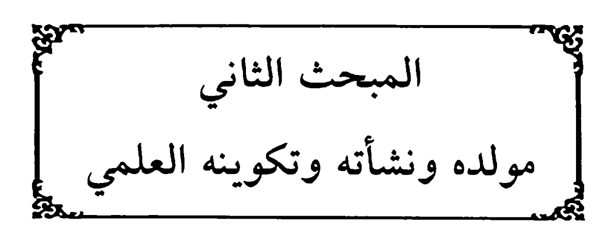
(١) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (ص٦٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٨٩).
(٣) ميزان الاعتدال (٣/١٨٦).
(٤) المصدر نفسه.

تاريخ ابن حجر في حوادث سنة ست وثلاثين ومائة: فيها ندب يزيد بن الوليد لولاية العراق عبد العزيز ابن هارون بن عبد الله ابن دحية بن خليفة الكلبي، قال: فهذا يدل على غلط من زعم أن دحية لم يعقب[١].

كنيته:

اشتهر ابن دحية بأبي الخطاب، وبهذا ذكره عدد ممن ترجم له، ومع ذلك فقد أفادنا الذهبي بأن له عدة كنى وهي: أبو حفص، وأبو الفضل، وأبو علي الداني[٢].

❊ ❊ ❊ ❊



المبحث الثاني
مولده ونشأته وتكوينه العلمي

مولــده

اختلف المؤرخون في تحديد سنة مولده فمنهم من قال: سنة أربع وأربعين وخمسمائة، ومنهم من قال: سنة ست وأربعين، ومنهم من قال: سنة سبع وأربعين، وهي أقوال يصعب ترجيح أحدها خصوصا حينما نعلم أن منها ما هو منسوب إلى ابن دحية نفسه، ومنها ما هو منسوب إلى ابنه، لذلك قال ابن خلكان حاكيا الأقوال كلها: «وكانت ولادته في مستهل ذي القعدة سنة أربع وأربعين وخمسمائة... أخبرني بذلك ولده، واخبرني بعض أصحابنا الموثوق بقولهم أنه سأل ولده المذكور عن مولد أبيه، فقال: في ذي القعدة من سنة ثماني وأربعين، واخبرني ابن أخيه قال: سمعت عمي أبا الخطاب غير مرة يقول: ولدت في مستهل ذي القعدة سنة ست وأربعين وخمس مئة والله أعلم»[1].

نشأته وتكوينه العلمي

نشأ ابن دحية بالأندلس وبالضبط في مدينة دانية بعد أن رحل إليها من مدينة سبتة التي ولد بها، وأخذ عن بعض مشايخها مثل ابن عبيد الله

(١) وفيات الأعيان (٣/٤٥٠). وأيضا سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٩٤).

الحجري، وفي مدينة دانية وغيرها من بلاد الأندلس سمع من بعض الأعلام الكبار أمثال: ابن بشكوال وأبي بكر ابن الجد[١] وأبي عبد الله بن المجاهد، وأبي بكر بن زرقون وأبي القاسم السهيلي...

ثم ما لبث أن رحل إلى فاس ثم مراكش حيث يحكم الموحدون المتأثرون بالمنهج الظاهرين الداعون إلى العكوف على الكتاب والسنة وترك كتب الفروع وخاصة كتب المذهب المالكي، فقد استقدموا محدثين كبارا من الأندلس وأسندوا إليهم وظيفة تدريس الحديث وبعض علومه في المدارس التي أنشأوها بالمغرب، وعقدوا لهم مجالس للمناظرات فكان عبد المؤمن الموحدي أول من فعل ذلك حيث حارب كتب الفروع المالكية وشدد على الفقهاء في ذلك متأثرا بأقوال ابن حزم وآرائه[٢].

ذكر ابن أبي زرع في القرطاس[٣] والناصري في الاستقصاء[٤] أن عبد المؤمن أمر سنة ٥٥٥هـ بتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث وكتب بذلك إلى طلبة المغرب والأندلس والعدوة، وكان عصر يعقوب المنصور الموحدي كما يقول صاحب القرطاس عصر «محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والسنة».

---

(١) «كتابه أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رحب» (ص٨٤-٨٦-١٥٤-١٥٦).

(٢) دعوة الحق، العدد ١٤٩، سنة ١٩٧٠. مقال موقف الموحدين من كتب الفروع وحمل الناس على المذهب الحزمي، للأستاذ سعيد أعراب (ص٢٨-٢٩).

(٣) القرطاس (١٥٤/٢).

(٤) الاستقصاء (١١٢/٢).

وذكر صاحب «الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام» أنه في سنة ٥٨٥هـ استدعى يعقوب المنصور العلماء ورواة الحديث من الأندلس وأمرهم بتدريس حديث الرسول ﷺ، منهم: أبو القاسم السهيلي المالقي (ت٥٨١هـ) وأبو عبد الله بن الفخار الأنصاري المالقي (ت٥٩٠هـ) وأبو محمد عبد الله بن محمد الحجري المري (ت٥٩١هـ) وأبو الحسن نجبة بن يحيى الرعيني الإشبيلي (ت٥٩٧هـ) وأبو الوليد بن رشد الحفيد (ت٥٩٥هـ) وأبو جعفر أحمد بن عتيق البنلسي (ت٦٠٧هـ) وأبو عبد الله اللخمي المعروف بابن الحجام (ت٦١٤هـ)، فازدهرت الدراسات الحديثية بالمغرب بفضل هذه العناية الكبيرة، وكثر طلبة الحديث ونبغ علماء كبار منهم أبو الخطاب بن دحية الكلبي وأخوه أبو عمر عثمان بن دحية، وابن القطان الفاسي الحافظ الناقد المشهور صاحب كتاب «بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام» لعبد الحق الإشبيلي، وأبو إسحاق المرادي الفاسي المعروف بابن الكماد.

وسط هذا المناخ العلمي المتشبع بالاشتغال بالقرآن والسنة النبوية كان ابن دحية طالبا للعلم ملازما للعلماء بفاس ومراكش كأبي عبد الله محمد بن حسين بن حبوس، وأبي بكر محمد بن عبد الله العبدري، وغيرهما من علماء المغرب والعلماء القادمين إليه من الأندلس.

عاد ابن دحية إلى الأندلس من غير أن يفتر عن طلب العلم وملازمة الشيوخ[1]، ثم رحل إلى تلمسان فسمع من القاضي أبي الحسن بن أبي

---

(١) التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار (٦٥٩/٢).

حيون ثم إلى إفريقية فسمع من أبي إسحاق بن قرقول وأبي العباس بن سيده وأبي عبد الله بن بشكوال وأبي الوليد بن المناصف، والقاسم بن دحمان وصالح بن عبد الملك وأبي العباس البلنسي وغيرهم[١].

ثم وصل إلى مصر فسمع من أبي القاسم البوصيري وغيره، وقد امتحن علماء مصر حفظه للحديث فذكروا له أحاديث بأسانيد حولوا متونها فأعاد هذه المتون المحولة وعرف عن تغييرها، ثم ذكر الأحاديث على ما هي عليه من متونها الأصلية، فأذعنوا له بالحفظ والمعرفة.

واستأدبه الملك العادل لابنه الكامل ولي عهده الذي صادف منه قبولا وأقبل عليه إقبالا عظيما، وبنى له بعدما تملك الديار المصرية دار الحديث الكاملية بالقاهرة وأسند إليه مشيختها[٢] فنال بذلك دنيا عريضة ورياسة.

وقد شملت رحلته بلاد الشام والعراق فسمع ببغداد من بعض أصحاب ابن الحصين وسمع بواسط من أبي الفتح محمد بن أحمد المندائي. سمع منه «مسند أحمد» ودخل إلى عراق العجم وخراسان وما والاها ومازندان، وسمع بأصبهان من أبي جعفر الصيدلاني[٣] ونيسابور عن منصور بن عبد المنعم الفراوي ومن أصحابه وأصحاب الحداد فسمع هناك «صحيح مسلم» عاليا بعد ما رواه نازلا.

---

(١) المصدر نفسه (٢/٦٥٩). وسير أعلام النبلاء (٢٢/١٨٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٩٠). وميزان الاعتدال (٣/١٨٦). وبغية الوعاة (٢/٢١٨).

(٣) يحكي ذلك في كتابه «أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب» (ص٦٣)، وفيه يذكر أنه قرأ عليه جميع «المعجم الكبير» للإمام الطبراني.

وقدم مدينة **إربل** في سنة أربع وستمائة وهو متجه إلى خراسان وكان صاحبها الملك مظفر الدين كُوكْبُوري بن زين العابدين التركي مولعا بعمل مولد النبي ﷺ عظيم الاحتفال به، فعمل له كتاب «التنوير في مولد السراج المنير» وقرأه عليه بنفسه، فأعطاه ألف دينار.

هكذا قضى شطرا من حياته في رحلات علمية في طلب الحديث والاجتماع بأئمته والأخذ عنهم، وهو في تلك الحال يؤخذ عنه ويستفاد منه ويؤلف الكتب.

❊ ❊ ❊ ❊

المبحث الثالث
ابن دحية وخصومه

يبدو أن شخصية ابن دحية كانت مثيرة ومستفزة، فقد كان شديد الفخر بنفسه من حيث شرف النسب، وبنفسه من حيث السمو في المعرفة، والإحاطة بالعلوم وهو القائل:

أحللتني من كل علم ذروة | شماء تعلو في السماء بمصعد
وأبحتني نسبا أمت بأصله | أوصلتني فيه لطيب المَحْتد
نسب على الأنساب بان فخره | وعلى الورى في المنتهى والقُعْدُد

وقال أيضا:

ألست أعلى الناس في حفظ ما | يسند عن جدكم في الصحيح

وكان يكتب - كما مر ذكره - قال ذو النسبين أو النسبتين.

وكل هذا أثار خصومه فكان بعضهم يعيّره بالانتساب إلى «كلب» الحيوان، فقد قال له أبو اليمن تاج الدين الكندي يوما في مهاترة نشأت بينهما: إخسأ أنت نسبت إلى كَلبٍ فنبحتَ.

كما كان شديد التباهي بكتبه إلى درجة الادعاء بأنها لا تسمو إليها كتب أخرى في فنونها، فقال مثلا يمدح كتابه العلم المشهور في مستهله، وفي أثنائه وفي آخره: «فما أعلم كتابا في جِرمه يقوم مقامه».

وقال أيضا: «وهذا الكتاب قد جعلته للمحدثين غياثا، لأن الله جلّت قدرته **قد جعل لي الحديث حقا وميراثا**، فيجب لفضله أن تركض الطلاب إليه على نجائبهم حثاثا، ويقتسموا فوائده الصحيحة من ألفاظه الصريحة بين السند والمتن والمعنى أتلاثا».

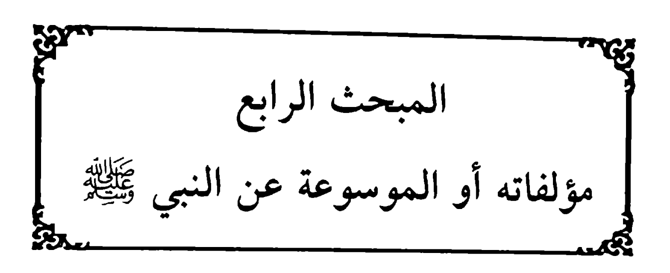
وخاطب الملك الكامل الذي أهدى إليه هذا الكتاب قائلا:

هذا كتاب ليس تبصر مثله بمثقف من لفظه ومقيد
أثناء أضلعه تروح وتغتدي أثناء أضلعه تروح وتغتدي

وقال يمدح كتابه «وهج الجمر في تحريم الخمر» بعد ما بدأ بالتنقيص من شأن ما كتب في الموضوع: «فرأيت كل كتاب منها كاسم بغير مسمى، ولفظ ليس لها معنى، فحداني ذلك على جمع هذا الكتاب الجامع لأسماء الخمر كل باب... فهو كتاب **إذا قرأه الغريب نسي وطنه** ومد في اقتناص العلوم شطَنه، وطفق يخصف من ورق العربية، ويغترف من البحار العذبة الأدبية...».

وقال يمدح كتابه «الابتهاج في أحاديث المعراج»: «فإن هذا الكتاب يسفر عن وجوه الحقائق، ويكشف عن قناع الدقائق، ويوضح مستقيم المنهاج في أحاديث المعراج، على نحو **ما جاراني في ميدانه مجار، ولا باراني في مضماره مبار**، فرَّقت فيه بين الصحيح والسقيم».

وقال في آخره: «جاء هذا الكتاب - بسعادة من ألف باسمه، ورفع برسمه - بديعا في معناه، لا يغني كتاب في فنه مغناه».



المبحث الرابع
مؤلفاته أو الموسوعة عن النبي ﷺ

ألف الحافظ أبو الخطاب بن دحية كتبا كثيرة يغلب عليها مجال الدراسات الحديثية وشخص الرسول ﷺ، تأثرا بالتوجه العام للدولة الموحدية بالمغرب، حيث بدأ طلب العلم، وتأثرا بالمذهب الظاهري، وكلا التوجهين طغى عليه الاشتغال بالحديث النبوي الشريف، وقوى لديه هذا الاهتمام ما وجده لدى السلطانيين مظفر الدين كُوكُبُوري صاحب إربل والملك الكامل ناصر الدين صاحب مصر من تعظيم لصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، وعناية بسنته ونقَلتها.

لقد عني الحافظ ابن دحية بالفعل بالتأليف في مسائل تتعلق بالنبي ﷺ، ويبدو أنه كان شغوفا بالحديث النبوي طلبا وتدريسا وتأليفا، وأن تكوينه في هذا الشأن أسعفه بذلك وأعانه عليه. ومن الثابت أن بضاعته فيه كانت عالية وغنية، ولذلك اشتهرت كتبه وذاع صيتها، ولقد زاد من ذلك المنهج الذي عرف به ابن دحية في كتبه، وكثرة الفوائد والاستطرادات التي ترصع أعماله.

وإن الناظر المتأمل فيما كتب الرجل عن النبي ﷺ ليدرك أنه انتهى في الأخير إلى موسوعة فريدة عن النبي ﷺ من حيث الاسم بل الأسماء،

والنسب الشريف، والمولد، والخصائص، والأعضاء وما خصت به من معجزات، والبشارات والإنذارات أو إخباره ﷺ بما يقع في المستقبل، وما يتعلق بالإسراء والمعراج، وما تعلق بشفاعته وفضل من تمسك بسنته... وفي كل هذه المسائل وغيرها ألف ابن دحية كتابا مستقلا، زيادة على إشارات واستطرادات مرتبطة بما سبق مبثوثة في كتبه الأخرى في الحديث ومناقب الصحابة وفضائل الأيام والشهور.

ولقد كانت كتبه ذات مستوى علمي رفيع، نافعة بما تزخر به من الفوائد والمباحث المتعددة، وبما يميزها من توسع في شرح المسائل التي يريد بيانها، أو دحض الشبهات أو الفهوم السقيمة، وهو في كل ذلك ينتقل من الحديث وبعض علومه وبيان أحوال بعض رواته إلى شرح الغريب من الألفاظ، أو الإشارة إلى خبر يتعلق بالسيرة أو بتاريخ الخلفاء أو غير ذلك مما ينبئ عن سعة اطلاعه وعلو شأنه في الحديث النبوي رواية ودراية، وما يخدمه من لغة وسيرة وتاريخ وأدب.

فبرز وتفرد، وأجاد وأفاد، لذلك قال تقي الدين عبيد الإسعردي: «أبو الخطاب ذو النسبين صاحب الفنون والرحلة الواسعة، له المصنفات الفائقة والمعاني الرائقة»[١].

وقال الإمام الذهبي: «وله تواليف تشهد باطلاعه»[٢].

وفيما يأتي قائمة لمصنفاته التي وصلتنا.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣٩٤/٢٢).

(٢) ميزان الاعتدال (١٨٨/٣).

كتب تتعلق بالحديث ورجاله، وسنكتفي الآن بذكر عناوينها، على أن نعود لتفصيل الكلام عنها بعد قليل:

أ- كتب الحديث

١) العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور.

٢) ما جاء في فضل شعبان.

٣) أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب.

٤) تنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر.

٥) وهج الجمر في تحريم الخمر.

٦) جميع العلوم الكميات في قوله «الأعمال بالنيات».

٧) تعليق شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية.

٨) من ألقم الحجر إذ كذب وفجر وأسقط عدالة من قال من الصحابة ما له أهجر.

٩) شرح الموطأ.

١٠) المنتخب من معجم الطبراني الكبير.

١١) أنوار المشرقين في تنقيح الصحيحين المشرقين.

١٢) الابتهاج بأحاديث المعراج.

١٣) التحقيق في مناقب أبي بكر الصديق.

١٤) أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين.

١٥) جزء في أحاديث الحوض.

١٦) جزء في النظر إلى الله جل جلاله.

١٧) جزء في التيمم وأحاديثه وبيان عللها.

١٨) جزء في المحبة.

ب- كتب المصطلح

١٩) تأليف في بلاغات مالك.

٢٠) نثر الدرر في فضل من تمسك بسنة سيد البشر.

هذا بالإضافة إلى كتب الحديث وعلم المصطلح، منها:

ج- كتب الرجال

٢١) مصنف في رجال الحديث.

د- كتب الشمائل والخصائص النبوية وما شابههما

٢٢) سلسلة الذهب في نسب سيد العجم والعرب.

٢٣) شرح أسماء النبي ﷺ [١].

---

(١) النبراس في تاريخ بني العباس، لابن دحية (ص١٦).

٢٤) التنوير في مولد السراج المنير[١].

٢٥) الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء الرسول ﷺ من المعجزات[٢].

٢٦) نهاية السول في خصائص الرسول ﷺ [٣].

٢٧) البشارات والإنذارات المتلقاة من أصدق البراءات.

هـ- كتب متنوعة

٢٨) استيفاء المطلوب في تدبير الحروب.

٢٩) تاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم، ذكره العلامة الشيخ عبد الله كنون في كتابه النبوغ المغربي ضمن كتب التاريخ والجغرافية في عصر الموحدين[٤].

٣٠) دليل المتحيرين في مسألة عصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر، وهو الكتاب الذي أشار إليه المؤلف نفسه في «الابتهاج في أحاديث المعراج»[٥].

٣١) الصارم الهندي في الرد على الكندي[٦].

---

(١) الذيل والتكملة (٢١٩/١).

(٢) نفح الطيب (١٠٤/٢). والذيل والتكملة (٢١٨/١).

(٣) نفح الطيب (٣٠٦/٢).

(٤) النبوغ المغربي (١٦٠/١).

(٥) (ص١٩٦).

(٦) كشف الظنون (١٠٧٠/٢).

٣٢) **مجموعة خطب بليغة**، ذكره العلامة عبد الله كنون في النبوغ المغربي ضمن كتب الأدب والدواوين الشعرية في عصر الموحدين[١].

٣٣) **المطرب من أشعار أهل المغرب**، وهو من أشهر كتبه التي عرف فيها بالعديد من شعراء المغرب الإسلامي وخاصة أهل الأندلس[٢].

ولذلك كان عمدة المؤرخين المشارقة بالخصوص[٣]، والكتاب مطبوع بتحقيق الأستاذ إبراهيم وآخرين[٤].

٣٤) **معجم شيوخ أبي جعفر بن مضاء**، وابن مضاء هذا من شيوخه، قيد في هذا المعجم أسماء شيوخ شيخه وهو طالب بعد في حلقته[٥].

٣٥) **النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس**[٦].

* * * *

---

(١) النبوغ المغربي (١٦١/١).

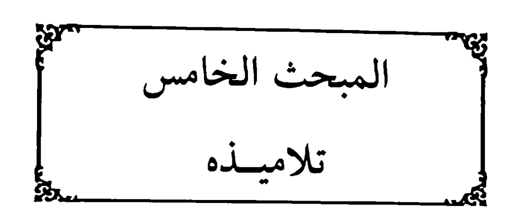
(٢) النبوغ المغربي (١٩٣/١).

(٣) وفيات الأعيان (٤٥٠/٣).

(٤) صدر في القاهرة والخرطوم سنة ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤م.

(٥) انظر كتاب فهارس علماء المغرب، للدكتور عبد الله المرابط الترغي (ص٦٠٤).

(٦) حققه قديما عباس العزاوي، صدر في بغداد في طبعته الأولى عام ١٣٦٦هـ، الموافق لـ١٩٤٦م.



المبحث الخامس

تلاميـذه

لابن دحية عدد كبير من التلاميذ الذين سمعوا منه، فقد كان في رحلاته الواسعة يُسمع غيره، قال ابن خلكان بعدما أشار إلى بعض البلاد التي رحل إليها: «كل ذلك في طلب الحديث والاجتماع بأئمته والأخذ عنهم، وهو في تلك الحال يؤخذ عنه ويستفاد منه»[١].

كما كانت رئاسته لدار الحديث الكاملية بالقاهرة سببا في كثرة عدد هؤلاء التلاميذ، وسأقتصر على ذكر أسماء أشهرهم ممن صاروا أعلاما:

-الحافظ الكبير المؤرخ ابن خلكان صاحب كتاب وفيات الأعيان[٢].

-الحافظ الكبير أبو عمرو بن الصلاح الشهرزوري صاحب المقدمة في علوم الحديث المشهورة بمقدمة ابن الصلاح[٣].

-الحافظ المؤرخ أبو عبد الله محمد بن سعيد الدبيثي صاحب «التاريخ المذيل على تاريخ بغداد»[٤].

(١) وفيات الأعيان (٣/٤٤٩).

(٢) وفيات الأعيان (٧/١١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٩٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٩١).

-الشيخ أبو الحسن الغافقي، وقد صحب أخاه أبا عمرو عثمان مدة طويلة وخبرهما جملة وتفصيلا[١].

-الشيخ أبو الخطاب بن خليل، وهو كسابقه ممن لازم ابن دحية وأخاه مدة طويلة[٢].

وممن روى عنه بالإجازة:

-أبو الحسن شرف الدين اليونيني[٣].

-أبو شامة المقدسي عبد الرحمن إسماعيل صاحب كتاب «الذيل على الروضتين»[٤].

* * * *

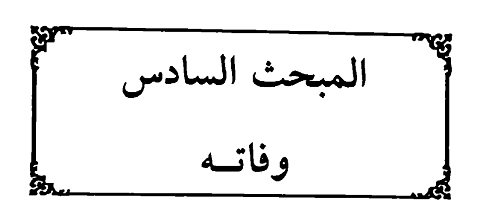
---

(١) صلة الصلة (ص٧٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سير أعالم النبلاء (٢٢/٣٩٦.

(٤) الذيل على الروضتين، ١٦٣.



المبحث السادس
وفاتــه

بعـد حيـاة حافلـة بـالعلم والـرحلات للسـماع مـن الشـيوخ والتـأليف والتدريس توفي الحافظ أبو الخطاب ابن دحية ليلة الثلاثاء الرابع عشر مـن ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة للهجرة، عـن نيـف وثمـانين سـنة، وقد كانت وفاته بالقاهرة، ودفه بسفح المقطم كما ذكر ابن خلكان نقلا عـن ولده[١].



❋ ❋ ❋ ❋

(١) وفيـات الأعيـان (٣/٤٥٠). وسـير أعـلام النـبلاء (٢٢/٣٩٤). وتـذكرة الحفـاظ (٤/١٤٢٢). ونفح الطيب، للمقري (٢/١٠٣).



الفصل الثاني

موسوعة ابن دحية عن النبي ﷺ

تمهيد

كان الحافظ ابن دحية من المكثرين في التأليف بحيث جاوزت تصانيفه الثلاثين كتابا في فنون كثيرة حظي الغالب منها بالحديث النبوي الشريف، شرحا له، وبيانا لوجوب التمسك به، وتحذيرا من الوضع والكذب فيه، وكذا ما يتعلق بالنبيﷺ من مولد، ونسب، وأسماء وأعضاء وخصائص، ومعجزات، ومعراج، وعصمة...

هذا بالإضافة إلى مؤلفات أخرى تناول فيها قضايا عقدية وشرعية ولغوية وأدبية وأخلاقية وتاريخية من خلال الحديث النبوي وسيرة المصطفى ﷺ، مما يؤكد ما ذكرناه آنفا من تأليف الحافظ ابن دحية لموسوعة عن النبي ﷺ.

والمؤلف في كل مؤلفاته فارس ماهر، تنبئ كلها عن علو كعبه وسعة اطلاعه، وكثرة معارفه، يظهر ذلك من خلال منهجه وطريقته الغالبة على مؤلفاته المتجلية في كثرة الاستطرادات، وهي المناسبات لذكر الفوائد اللغوية والحديثية والفقهية والتاريخية، وما يتعلق بالتراجم من شيوخ وشخصيات قرأ عليها أو لقيها.

ولذلك حظيت بقبول العلماء وثناءهم فقال الإمام ابن سيد الناس اليعمري: «وله تواليف تشهد باستطلاعه وكثرة اطلاعه»[١].

وقال الحافظ الذهبي: «وله تواليف تشهد باطلاعه»[٢].

وقال صاحب نفح الطيب: «صنف كتبا كثيرة مفيدة جدا»[٣].

وفيما يأتي عرض وتعريف بما كتبه الحافظ ابن دحية في هذا المجال:

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) أجوبة ابن سيد الناس عن أسئلة ابن أيبك (ص٢٤٩).
(٢) ميزان الاعتدال (١٨٨/٣).
(٣) نفح الطيب (١٠٤/٢).

المبحث الأول
كتبه في الأسماء والأنساب والمولد النبوي

١ . سلسلة الذهب في نسب سيد العجم والعرب

ذكره المؤلف نفسه في كتابه «النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس» حيث قال: «... وباقي هذا النسب ذكرته في كتاب سلسلة الذهب في نسب سيد العجم والعرب»[١].

موضوعه:

موضوع هذا الكتاب هو ذكر النسب الشريف مفصلا ودقيقا، دقة أهل الحديث في العناية بالأنساب والأخبار خلافا لطريقة الإخباريين.

٢ . المستوفى في أسماء المصطفى

ويسمى كذلك شرح «أسماء النبي ﷺ». ذكره المؤلف في كتابه «النبراس في تاريخ بني العباس»، كما ذكره غير واحد ممن ترجم لابن دحية أو تحدث عن كتبه أو بعضها كالمراكشي[٢] والحافظ ابن حجر[٣] والمقري[٤].

---

(١) النبراس (ص١٦).

(٢) الذيل والتكملة (٨/٢١٨).

(٣) فتح الباري (٦/٥٥٨-٦٤٤).

(٤) نفح الطيب (٢/١٠٤).

موضوعه:

جمع الحافظ ابن دحية في كتابه المستوفى أسماء النبي ﷺ وأوصلها إلى ثلاثمائة اسم، وذكر أماكنها من القرآن والأخبار والآثار، وضبط ألفاظها وشرح معانيها، ولذلك سماه بعضهم شرح أسماء النبي ﷺ كما وقع للمقري في نفح الطيب[(١)]، قال الحافظ ابن حجر: «قال ابن دحية في تصنيف له مفرد في الأسماء النبوية: قال بعضهم: أسماء النبي ﷺ عدد أسماء الله الحسنى تسعة وتسعون اسما، قال: «ولو بحث عنها باحث لبلغت ثلاثمائة اسم. وذكر في تصنيفه المذكور أماكنها من القرآن والأخبار، وضبط ألفاظها وشرح معانيها، واستطرد كعادته إلى فوائد كثيرة، وغالب الأسماء التي ذكرها وصف بها النبي ﷺ، ولم يرد الكثير منها على سبيل التسمية...[(٢)].

قيمته:

حظي هذا الكتاب باهتمام العلماء فنوهوا به وأشاروا إلى بعض فوائده[(٣)] وجعله بعضهم ضمن موارده فنقل منه. ولم يخل الكتاب من فوائد لغوية وحديثية كثيرة واستطرادات قيمة على عادة ابن دحية في معظم مؤلفاته.

---

(١) المصدر نفسهّ.

(٢) انظر مثلا الإعلان بالتوبيخ، للسخاوي (ص١٦٥-١٦٦).

(٣) مثلا كتاب الرياض الأنيقة في أسماء خير الخليقة، للإمام السيوطي، وكتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (١/٥٠٥-٥١٢-٥٤٨-٤٩٥-٥٥٥-٥٣٧-٥٦٢).

٣. التنوير في مولد السراج المنير

هو الكتاب الذي ألفه ابن دحية للملك مظفر الدين بن زين الدين كوكْبُرى بن علي التركماني صاحب إربل، وذلك إثر مقدم ابن دحية إربل سنة أربع وستمائة، وهو متوجه إلى خراسان، فرأى صاحبها المذكور مولعا بعمل مولد النبي ﷺ، عظيم الاحتفال به، فعمل له هذا الكتاب وقرأه عليه بنفسه[١] ولذلك لم يفت ذكر هذا الحدث ونسبة الكتاب إلى ابن دحية معظم من ترجم له أو نقل عنه[٢].

موضوعه:

الكتاب في ذكر مولد النبي ﷺ وما وقع من الأحداث والمعجزات، وتضمن أيضا ذكرا لمدح صفاته الخِلقية والخُلقية. وقد اشتهر الكتاب في عهد مؤلفه وأصبح يقرأ في إربل سنة بعد سنة، وتهافت الناس على سماعه في مجالس ملكها المظفر[٣]

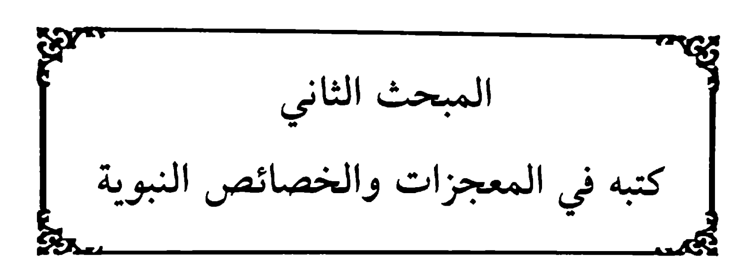
❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) انظر كتاب وفيات الأعيان، لابن خلكان (١/٢١٠-٢١٣). (٣/٢٤٩-٢٥٠).

(٢) انظر الذيل والتكملة (١/٢١٩). ونفح الطيب (٢/٣٠٦). وسبل الهدى والرشاد (١/٤٣٩). وتفسير ابن كثير (٥/٤٣).

(٣) للكتاب نسخة بالمكتبة الأحمدية بحلب لعلها هي أول نسخة كتبها المؤلف سنة ٦٠٥هـ، أو قرأت عليه.



المبحث الثاني
كتبه في المعجزات والخصائص النبوية

١. الآيات البينات فيما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات

لم يذكره ابن دحية في كتبه الأخرى كما فعل في غيره، والسبب أن هذا الكتاب من آخر من ألف، وقد أشار إليه في مقدمة الكتاب غير أن الصالحي ذكره فقال: «أفرد الحافظ أبو الخطاب ابن دحية كتابا أسماه الآيات البينات فيما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات»(١). وكذلك ذكره المراكشي(٢) والمقري(٣) وإسماعيل باشا البغدادي(٤) وعبد الله كنون(٥).

بالإضافة إلى هذا العنوان نجد هذا الكتاب قد ذكر بعناوين أخرى «كالآيات البينات فيما خص الله تعالى به أعضاء نبيه من المعجزات» و«خصائص أعضاء رسول الله ﷺ»، و«الآيات البينات في شرف أعضاء النبي ﷺ صاحب المعجزات».

---

(١) سبل الهدى والرشاد (٢/٣).
(٢) الذيل والتكملة (٨/٢١٨). وأفاد أنه مجلد.
(٣) نفح الطيب (٢/١٠٤).
(٤) هدية العارفين (١/٧٨٦).
(٥) النبوغ المغربي (١/١٩٦).

موضوعه:

هو في بيان ما خص الله به نبينا عليه الصلاة والسلام من المعجزات في بعض أعضائه وتكرر منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة وما مدحها به في محكم تنزيله.

قيمة الكتاب:

هذا الكتاب أثر من آثار الحافظ ابن دحية العجيبة عالج فيه موضوعا مهما له صلة بالعقيدة، وقد اعتمد فيه على مصادر مهمة زادت من قيمة الكتاب واستطرد فيه كعادته إلى موضوعات شتى.

ولا جزم حينئذ أن يفتخر المؤلف بكتابه هذا ويمدحه فيقول "فهو كتاب يزهو على المصنفات، لم يأت أحد بمثله ولا هو آت».

وقد قام بتحقيقه الأستاذ عزون وطبع بمكتبة العمرين العلمية.

٢. الابتهاج بأحاديث المعراج

وهو الذي يسميه الإمام الصالحي الشامي (ت٩٤٢هـ) «بالمعراج الصغير»[١]. وأما المؤلف نفسه فقد ذكره في كتابيه أداء ما وجب والعلم المشهور[٢] بالعنوان الكامل وهو «الابتهاج بأحاديث المعراج».

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١٠٤/٣). وانظر أيضا الإعلان بالتوبيخ، للسخاوي (ص١٦٦).

(٢) انظر مثلا أداء ما وجب (ص٥٤).

موضوعه:

أفرد ابن دحية هذا الكتاب لشرح خبر الإسراء والمعراج وما وردت في تفاصيله وجزئياته من أحاديث وآثار مع وقفات وشرح وتعليق واستطراد كعادته في إثراء كتبه، بل في هذا الكتاب ينقل أقوال العلماء، ومذاهبهم ويقبل ويرد ويصحح ويضعف بعض الأدلة والأحاديث ويعدل ويجرح بعض رواتها.

قيمته:

يعد هذا الكتاب من أحسن وأفيد ما ألف في موضوع الإسراء والمعراج، إذ يجد فيه القارئ الأدلة والأقوال الواردة في الموضوع والجواب عن الأسئلة الكثيرة التي تشغل باله وتدور بخلده، كالمعراج هل كان بالروح والجسد معا، وصحة ما نقل عما رآه النبي ﷺ لما أعرج به[١].

٣. نهاية السول في خصائص الرسول ﷺ.

ذكره ابن الملقّن وسماه «خصائص من أعضاء رسول الله ﷺ»[٢]، وذكره الحافظ ابن حجر وسماه «الخصائص»[٣] وأشار إليه ابن دحية نفسه كعادته، وذلك في كتابه «المستوفى في أسماء المصطفى» و«الابتهاج في أحاديث المعراج»[٤].

---

(١) طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب.

(٢) البدر المنير (١/٣٨٦).

(٣) فتح الباري (٦/٢٠٩).

(٤) الابتهاج (ص١٤٢).

موضوعه:

ذكر فيه ابن دحية الأدلة الكثيرة الدالة على خصائص المصطفى ﷺ وما مدحه الله به، وما ورد في الكتب المتقدمة في شأنه، وما أوجب الله تعالى له على جميع الخلق من الحقوق إيمانا به وتصديقا لرسالته وتعظيما لشخصه وتوقيرا له ولأصحابه وآل بيته.

٤ . البشارات والإنذارات المتلقاة من أصدق البراءات

وهو الكتاب الذي يسميه المؤلف نفسه بـ«مرج البحرين في فوائد المشرقين والمغربين» فقال في «المستوفى في أسماء المصطفى»: «وقد أفردنا للبشارات والإنذارات كتابا في مجلدين، رحلنا في طلب ما ضمناه فيها إلى المشرقين والمغربين، وسميناه بمرج البحرين»[١].

كما نسبه إليه غير واحد كابن الشعار[٢] وابن الملقن[٣] والمراكشي[٤] فالكتاب يضم فوائد جمعها في رحلاته الواسعة في طلب الحديث مغربا ومشرقا، تتعلق بما أخبر به النبي ﷺ أنه سيكون في المستقبل، فهو يزخر بالفوائد في هذه الخاصية والمعجزة اللتين أيد الله تعالى بها نبيه عليه الصلاة والسلام.

---

(١) وذكره أيضا في كتابه «العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور» وهو يتحدث عن حديث عرض القرآن على جبريل عليه السلام فقال: «وقد ذكرناه بكامله وطرقه في كتاب الإنذارات من تأليفنا».

(٢) في كتابه عقود الجمان في شعراء هذا الزمان.

(٣) في كتابه البدر النير (٣٨٦/١).

(٤) الذيل والتكملة (٢١٩/١).

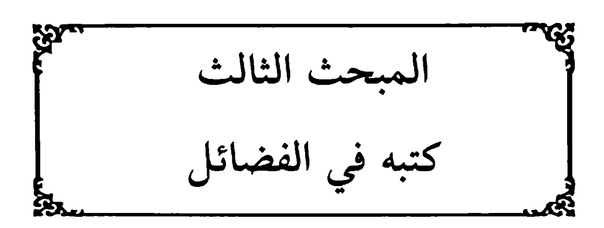
موضوعه:

موضوع الكتاب هو الأحاديث التي أخبر فيها النبي ﷺ بوقوع أشياء، أو بالتحذير من أشياء في المستقبل، فهي بشارات وإنذارات وقعت كما أخبر بها عليه الصلاة والسلام من غير مقدمات معروفة.

قيمته:

يعد إخبار النبي ﷺ بأمور وأحداث تقع في المستقبل من دلائل نبوته، لأنها تقع من غير مقدمات تشير إليها أو تؤدي إلى وقوعها وتتضمن أيضا تحديا لعقول البشر لأنها لا تدرك بالعقول ولا تعرف بالنجوم، وإنما تعرف بإخبار علام الغيوب نبيَّه ﷺ بها ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [سورة الجن، الآية: ٣٦-٣٧].

* * * *



المبحث الثالث

كتبه في الفضائل

١- العلم المشهور في فوائد الأيام والشهور:

هذا الكتاب من الكتب التي يحيل إليها ابن دحية نفسه في بعض مؤلفاته الأخرى[١].

كما ذكره المراكشي[٢] وابن الملقن[٣] والمقري[٤] والحافظ ابن حجر[٥].

موضوعه:

يدور موضوع هذا الكتاب على فضائل شهور العام شهرا شهرا مع بيان الاشتقاق اللغوي لكل شهر، وذكر ما جاء فيه من القرآن والأثر، وما له من فضل أو فضائل، وقد يورد في غضون ذلك شعرا، أو شرحا لألفاظ،

---

(١) انظر مثلا المطرب من أشعار أهل المغرب (ص٢٢٣). وأعلام النصر المبين (ص٨٢). والنبراس في تاريخ خلفاء بني العباس (ص١٠٤).

(٢) الذيل والتكملة (٨/٢١٩).

(٣) البدر المنير (١/٣٨٦).

(٤) نفح الطيب (٢/١٠٤-٥/١١٧).

(٥) فتح الباري (٢/٣٧٩).

أو لحديث نبوي، أو ذكرا لأحداث تاريخية كعادته في الاستطراد المفيد والممتع.

قيمته:

يعد هذا الكتاب من أفيد الكتب المصنفة في فضائل الشهور، فهو يبين فضل أو فضائل كل شهر على حدة، ويضيف إلى ذلك فوائد أخرى حديثية ولغوية وتاريخية وأدبية.

٢. ما جاء في فضل شعبان

أشار إليه المؤلف نفسه في آخر كتابه «أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب»، فقال: «ويتلوه إن شاء الله تعالى ما جاء في فضل شعبان...»[١].

٣. كتاب أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب

أولا: موضوع الكتاب

أفرد ابن دحية هذا الكتاب لشهر رجب وما ورد فيه من أحاديث موضوعة، وبين أنه لم يثبت في فضيلته شيء، وقد تكفل ببيان ذلك في المقدمة حيث قال:

«لما كثر اختلاف الناس في هذا الشهر المسمى برجب، وقل العارف به المتكلم فيه بما وجب، حتى قال بعضهم في نهاره بفضيلة صيامه، ونزع بعضهم في ليله إلى الاعتناء بقيامه وجعله من لا يدري مفضلا على

(١) أداء ما وجب (ص١٥٩).

الشهور، وزاده فضيلة على الأربعة أكرم في المذكور. ولما كثر الخبط في ذلك بين العوام، ولم يكن من الخواص من يعرف ما فيه من الكلام، تعين في شرع الله عليَّ،... أن أخص هذا الشهر بما فيه، وأتكلم على جملة معانيه، بما يجمع بين الشرح والتفسير وذكر ما صح عن البشير النذير، رفعا للكذب عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وعملا بمقتضى ما اقتضاه الكلام».

ثانيا: قيمة الكتاب

ولا شك أن قيمة الكتاب كبيرة، وهو جدير بالعناية، لأن كثيرا من الناس يعتقدون أن هذا الشهر له فضيلة خاصة، فيكثرون صيام نهاره، وقيام ليله، وذلك كله أثر من آثار الأحاديث الموضوعة التي راجت على كثير من الخاصة فضلا عن العامة، ولو تثبتوا في تلك الأحاديث وسألوا أهل الذكر لألفوها من جملة الأحاديث المكذوبة على سيد الأنام، لا يبنى عليها حكم، ولا يثبت بها فضل اتفاقا بين العلماء، خاصة وقد حوت من الفضائل الجزيلة على أعمال يسيرة من صيام وقيام يشهد العقل ببطلانها ويجزم باختلافها، كالحديث الذي فيه أن من صام السابع والعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا، والحديث الذي فيه أن من صلى ليلة النصف من رجب أربع عشرة ركعة بالفاتحة والإخلاص والمعوذتين بأعداد معينة بعث الله إليه ألف ملك، وغير ذلك من أحاديث عجيبة أورد ابن دحية منها الكثير، ونبه على وضعها وكشف أمر واضعيها، ذبًّا عن السنة الصحيحة، وتحذيرا للأمة من الاغترار بشيء مكذوب على رسول الله ﷺ.

إن هدي رسول الله ﷺ في المحرم وشعبان ورمضان وشوال وذي الحجة منقول محفوظ حفظه عنه أصحابه الكرام، في أحاديث صحيحة كثيرة، ولو كان له في رجب هدي خاص لنقلوه إلينا كما نقلوه في أشهر أخرى، لكن الوضاع يأبى إلا أن يلصق بالسنة ما ليس منها، وفعله ذلك دالّ على جهل بكمال الدين، وتمامه، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

إن ما ذهب إليه الحافظ ابن دحية من عدم صحة الأحاديث التي تثبت لشهر رجب فضائل خاصة أمر لم ينفرد به بل قال به جمع غفير من العلماء، وأكتفي هنا ببعض أقوالهم في ذلك.

قال ابن العطار الدمشقي: «ففضل رجب لكونه من الحرم لا غير، ليس له مزية على غيره سوى ذلك... وأجمع المسلمون على أن شهر رمضان أفضل الشهور، بل شهر ذي الحجة والمحرم أفضل من رجب».

وقال ابن القيم: «كل حديث في ذكر صوم رجب وصلاة الليالي فيه فهو كذب مفترى»[١].

وقال ابن حجر: «لم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيامه ولا في صيام شيء منه معين ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة، وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمام أبو إسماعيل الهروي الحافظ»[٢].

---

(١) المنار المنيف (ص٩٦).
(٢) تبيين العجب (ص٢٣).

وقـال فـي موضـع آخـر: «الأحاديـث الـواردة فـي فضـل رجـب أو فضـل صـيامه أو صـيام شـيء منـه صـريحة فهـي علـى قسـمين: ضـعيفة وموضوعة»[١].

وقال: «ورد في فضل رجب من الأحاديث الباطلة أحاديث لا بأس بالتنبيه عليها لئلا يغتر بها»[٢].

ثالثا: منهج المؤلف في الكتاب

لم يكن لابن دحية في هذا الكتاب منهج خاص التزمه في تأليفه، بل هو كسائر مؤلفاته التي يستطرد فيها استطرادات تقل وتكثر حسب كل كتاب، لكنه في «أداء ما وجب» كان الاستطراد فيه غريبا حقا، إذ خرج عن فكرته الأصلية المتمثلة في شهر رجب وما ورد فيه من أحاديث موضوعة، ودخل في قضايا تتعلق بعلم مصطلح الحديث، وعرّف أنواعا عديدة من علومه، وفصل جدا في أنواع تحمل الحديث وروايته من إجازة ومناولة ونحوهما، بحيث يمكن القول إنه جمع مختصرا في علم المصطلح مع الكتاب الأصلي «أداء ما وجب».

٤ - أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهلي صفين:

نسبه إليه عدد ممن ترجم له أو اقتبس منه كابن الأبار[٣] والمراكشي

---

(١) تبيين العجب (ص٣٣).

(٢) المصدر نفسه (ص٤٠).

(٣) التكملة لكتاب الصلة (٢/٦٠٠).

والمقري[١] والذهبي[٢]، وهو من موارد الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير»[٣].

موضوعه:

الكتاب في ذكر أحداث معركة صفين التي وقعت بين علي ومعاوية تاريخا وموقعا وما جرى بين الفريقين من اقتتال، والمفاضلة بينهما مع الحرص على بيان فضل الغمام علي كرم الله وجهه بالخصوص، وذلك بجملة من الحجج والأدلة.

قيمته:

الكتاب مصدر مفيد ومتميز في هذا الحدث التاريخي الذي كثر بسبب اللغط وسوء الفهم للحديث بل الاختلاف واتهام الصحابة بما لا يناسب مقامهم وعدالتهم.

والكتاب أيضا بمنهج صاحبه مليء بالفوائد والنكت والتعليقات التاريخية والحديثية التي تعطي القيمة الواضحة والعلمية لهذا الكتاب.

وهو أيضا مصدر لنقول من مصادر تاريخية عدة بعضها مفقود. وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور محمد أمحزون[٤].

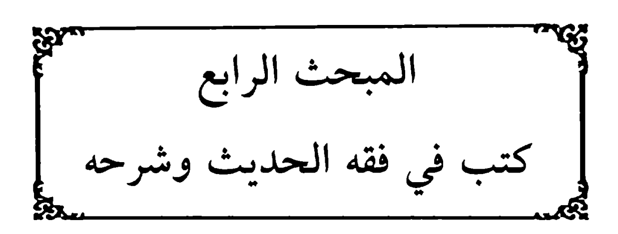
---

(١) نفح الطيب (٢/١٠٤). وسماه الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفين.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٩٠). وتذكرة الحفاظ (٤/١٤٢١).

(٣) التلخيص الحبير (٤/٥٠). الذيل والتكملة (٨/٢١٩).

(٤) صدر في طبعته الأول عام ١٩٩٨ عن دار الغرب الإسلامي، ببيروت.



المبحث الرابع
كتب في فقه الحديث وشرحه

١- تنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر

ذكره بروكلمان في «تاريخ الأدبي العربي»[١] ولعله هو الكتاب الذي أشار إليه المصنف نفسه في «وهج الجمر» قال: «وقد أملينا مجلدا في أسمائها ونعوتها على حروف المعجم فيه مائة وتسعون اسما»[٢].

موضوعه:

عرض ابن دحية في هذا الكتاب ما عرفه من أسماء تطلق على الخمر، وقد أوصلها إلى مائة وتسعين اسما مرتبة على حروف المعجم بمعانيها، ذاكرا لاشتقاق كل ما يقدر على اشتقاقه، من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، والمستعمل عند اللغويين والشعراء. «وهي بجميعها معروفة بالخمر المحرمة، وأن ارتكابها كبيرة في الشريعة المعظمة».

قيمته:

فهذا الكتاب متفرد في بابه ومنهجه وفوائده، فهو احتوى على أكبر عدد معروف من أسماء الخمر، واحتوى على ذكر اشتقاق الأسماء التي

---

(١) تاريخ الأدبي العربي (٥/٣٠٦). وذكره له نسخة خطية بمكتبة ليدن.
(٢) وهج الجمر (ص٢١٩).

يقدر على اشتقاقها، واحتوى على ذكر معانيها ولم يخل من ذكر فوائد أخرى ضمن ذلك من أشعار واستطراد مفيد كعادته في كتبه.

٢- وهج الجمر في تحريم الخمر

أشار إليه المؤلف نفسه في كتابه «المطرب في أشعار المغرب»[١]. وذكره أيضا الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير»[٢].

وقد أفرد هذا الكتاب لبيان حكم الشرع في شرب الخمر وحد السكران وما عرف من أسماء الخمر، وبينه وبين الذي سبقه تشابه كبير، ولذلك وقع لكثير ممن أحصى كتب ابن دحية الخلط بينهما فعدوه كتابا واحدا.

وقد حقق كتاب «وهج الجمر» الأستاذ ظفر الله عطاء الله في رسالة ماجستير بجامعة الإمام الإسلامية بالرياض.

٣- جميع العلوم الكميات في قوله «الأعمال بالنيات»

ذكره ابن الشعار في «قلائد الجمان في شعراء هذا الزمان»[٣] وهو في شرح الحديث المشهور، «إنما الأعمال بالنيات...».

٤- شرح مسند شهاب الأخبار للإمام القضاعي (ت٤٥٤ هـ)

موضوعه:

يتعلق هذا الكتاب بتعليق وشرح لكتاب مسند شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية، تأليف الإمام أبي عبد الله

---

(١) وهج الجمر (ص٢١٩).

(٢) وهج الجمر (٤/٨٤).

(٣) نقل ذلك الأستاذ محمد بنشريفة في كتابه تراجم مغربية من مصادر مشرقية (ص٧٨).

محمد بن سلامة القضاعي المصري المتوفي سنة ٤٥٤هـ، وقد نقل الذهبي وغيره عن قاضي حماة ابن واصل الحموي قصة امتحان الملك الكامل لابن دحية حيث أمره بتأليف كتاب على شهاب القضاعي، فعلق كتابا تكلم فيه على أحاديثه وأسانيده، ثم طلب منه تأليفه مرة أخرى بعد أن ادعى ضياعه، فوجد تناقضا واختلافا بين التأليفين، وتأكد له ما قيل في ابن دحية من مجازفات في النقل، وادعاء للعلم، فعزله عن دار الحديث الكاملية آخرا، وولاها لأخيه الحافظ أبي عمرو عثمان[1].

ورغم ما يحف هذا الخبر من شك لعدم حضور ابن واصل الحموي هذا الحدث، فقد دخل مصر سنة ٦٩٠هـ[2]، أي بعد وفاة ابن دحية بسبع وخمسين عاما، فإن مكانة ابن دحية وعلو كعبه في الحديث ورجاله، ومعرفته بمعانيه أكبر وأثبت من أن يُلغيها حدَثٌ مثلُ هذا في ثبوت صحته نظر.

٥- كتاب من ألقم الحجر إذ كذب وفجر وأسقط عدالة من قال من الصحابة: ما له أهجر؟

توثيق الكتاب:

ذكره ابن الشعار في قلائد الجمان ضمن مؤلفات ابن دحية.

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٣٩٢/٢٢). وميزان الاعتدال (١٨٧/٣). وتذكرة الحفاظ (١٤٢١/٤-١٤٢٢). وعن الإمام الذهبي نقل خبر القصة ابن عبد الهادي في طبقات علماء الحديث (٢٠٤/٤). والصفدي في الوافي بالوفيات (٤٥٣/٢٢). وابن حجر في لسان الميزان (٢٩٣/٤).

(٢) ذكر ذلك الصفدي في نكت الهميان (ص٢٥٢).

وفي إحدى طرر نسخة مخطوطة من كتاب الشفا ذكرٌ لهذا الكتاب، فقد ورد هذا النص: اهجر بفتح الهمزة والهاء والجيم وفي رواية أهجر بفتح الهمزة وضم الهاء، قال ابن الأثير: أي هل تغير كلامه واختلط لما به من المرض، هذا أحسن ما يقال فيه ولا يجعل إخبارا ليكون من الفحش والهذيان، والقائل كان عمر لا يظن به ذلك. انتهى. وقد أفرد ابن دحية هذه اللفظ بتأليف.

كما أن الكتاب نفسه شمل على عبارة «قال ذو النسبين» أو قال: «ذو النسبتين» وهو أمر درج عليه ابن دحية في كتبه، وفيه إحالة على كتب أخرى للمؤلف صحيحة النسبة إليه» كالابتهاج» و«أداء ما وجب»[١].

موضوع الكتاب:

هذا الكتاب واحد من مؤلفات الحافظ أبي الخطاب بن دحية السبتي التي تنبئ عن إمامته في العلم وعلو كعبه فيه. موضوعه هو شرح لحديث يتعلق بحدث من أحداث السيرة في آخر حياة النبي ﷺ، وقد اشتد به مرض الموت حينما دعا الصحابة إلى أن يأتوه بما يكتب لهم فيه كتابا لن يضلوا بعده أبدا، فتنازعوا واختلفوا وكثر لغطهم، وقال بعضهم: ما له، أهجر؟ وهو حديث أخرجه الشيخان وغيرهما، وقد شرح المؤلف في هذا الكتاب معنى: أهجر، وبرأ الصحابة الكرام من تهمة إطلاق الهجر على النبي ﷺ، وهو الهذيان، لما فيه من تعارض مع مبدأ العصمة النبوية، ومع

---

(١) انظر كتاب: من ألقم الحجر، لابن دحية، قسم الدراسة والتقديم للأستاذ عبد العزيز فارح (ص٥٣).

عدالة الصحابة الأطهار، فإن ذلك يخرجهم من دائرة الإيمان، وإذا ثبت هذا في حقهم فلا يستبعد كما يذكر المؤلف أن يتمالئوا على أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ويسلبوا حقه، وذلك أكبر متعلق الروافد في الطعن في الصحابة وتجريحهم، وقد ذكر أبو الخطاب ابن دحية في معرض شرحه للحديث والرد على الروافد بعض الأحاديث التي واكبت المسألة وذكر بعض مناقب الصحابة وخاصة الشيخين، وقصة مبايعة الخليفة الصديق[١].

فوائد الكتاب:

شغل الحديث الذي شرحه ابن دحية السبتي في هذا الكتاب، ومسألة الهجر خاصة، عددا من علماء الأمة وشراح الحديث كالقاضي عياض السبتي والإمام النووي والقرطبي وأبي عبد الله المازري والخطابي وغيرهم، قال الحافظ ابن حجر: «وقد تكلم عياض وغيره على هذا الموضع فأطالوا، ولخصه القرطبي تلخيصا حسنا ثم لخصته من كلامه». إلا أن ابن دحية السبتي يتميز عن هؤلاء بأن أفرد المسالة في كتاب مستقل وفصل فيها القول من جوانب متعددة.

ويمتاز هذا الكتاب أيضا بفوائد كثيرة يقدمها المؤلف عن طريق الاستطرادات، كعادته في سائر كتبه، من ذلك:

١) الفوائد المستخلصة من النصوص التي يستدل بها كالفوائد المستخلصة من الحديث «لله أشد فرحا بتوبة عبده» ذكرها استطرادا.

---

(١) انظر كتاب: من ألقم الحجر، لابن دحية، قسم الدراسة والتقديم للأستاذ عبد العزيز فارح (ص٥٤).

٢) شرح الألفاظ الغريبة، وهذا أمر واضح في هذا الكتاب أيضا من ذلك شرحه لـ: أهجر وهجر والفرح، وأيس، وعقر، ورسلك، ونشج، واللفظ، ولم يقف المؤلف عند مجرد شرح الغريب بل إنه يشرح الحديث بأكمله أو يستخلص منه الفوائد انطلاقا من النكت والوجوه اللغوية.

٣) ذكر بعض الأحاديث في عصر النبوة والخلافة الراشدة وحكاية تأدب الصحابة مع النبي ﷺ، وحكاية حالهم عند وفاته، وخطبة أبي بكر، رضي الله عنه، فيهم، وبعض ما كان في سقيفة بني ساعدة ومبايعة الصديق على الخلافة.

٤) ذكر أحوال بعض الرواة تعديلا وتجريحا.

٥) حرض شديد على ذكره مصادره التي ينقل منها، وفي غالبها مصادر حديثية كالصحيحين والموطأ والمسند وجامع الترمذي ومصادر في السيرة النبوية وتاريخ الصحابة.

٦) توثيق دقيق للنصوص التي يستدل بها كقوله بعد أن نقل كلام عمر يوم السقيفة «أخرجه الإمام أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب عن عبد الله ابن مسعود في ترجمة أبي بكر من حرف العين».

وكقوله: «وأسقطها البخاري في أول صحيحه من كتاب العلم في باب كتابه العلم... وكذلك أسقطها البخاري في باب كراهية الاختلاف في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وهو آخر الديوان...»[١].

---

(١) كتاب من ألقم الحجر، مقدمة المحقق (ص٥٥-٥٧).

٦- شرح الموطأ

ذكره المؤلف نفسه ففي كتابه «التنوير في مولد السراج المنير» فقال «وقد بينت ذلك بشواهده في شرحي للموطأ».

٧-أنوار المشرقين في تنقيح الصحيحين المشرقين

وهو من كتب الحديث التي ألفها ابن دحية متتبعا فيها أحاديث الصحيحين خادما لها متعقبا لبعض ما رآه من الأوهام، وقد ذكره العلامة عبد الله كنون وهو يتحدث عن كتب المغاربة في الحديث في عصر الموحدين[١]..

٨- التحقيق في مناقب أبي بكر الصديق

ذكره البغدادي[٢] والشيخ عبد الله كنون[٣].

موضوعه:

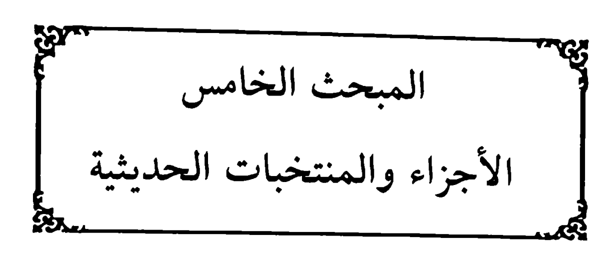
هو في فضائل خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق وذكر نسبه ومناقبه وخلافته، وقد عني ابن دحية بمواضيع تتعلق بفضائل الصحابة وعدالتهم وتفسير ما وقع بين بعضهم، وذلك دفعا لما روجه الروافض كما ظهر في كتابه «من ألقم الحجر» و«أعلام النصر المبين».

---

(١) النبوغ المغربي (١/١٥٩).

(٢) هدية العارفين (١/٧٨٦).

(٣) النبوغ المغربي (١/١٦٠).



المبحث الخامس
الأجزاء والمنتخبات الحديثية

١- المنتخب في معجم الطبراني الكبير

ذكره المؤلف في كتابه «النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس»، وهو يتحدث عن مقروءاته ورحلاته في طلب الحديث وكتبه ومنها كتاب المعجم الكبير للإمام الطبراني فقال: «ثم انتخبت منه أيضا على الحرة الستّيرة فارس بانوية بنت محمد يعرف بالبناء، وفيه سمائها لجميعه سنة ثماني عشر وخمسمائة وسماع شيخنا سنة عشرين...»(١).

٢- جزء في أحاديث الحوض

ذكره المؤلف نفسه في كتابه «نهاية السول» فقال: «وقد ذكرنا أحاديث الحوض، وحكينا ما بلغ إلينا من الروايات الثابتة فيه في جزء مفرد»(٢).

٣- جزء في النظر إلى الله جل جلاله

ذكره ابن دحية أيضا، لكن في كتابه «الابتهاج في أحاديث المعراج» فقال: «وأما النظر إلى الله جل جلاله فحق لأهل الجنة، ثابت بنص الكتاب

---

(١) النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس (ص١٢).
(٢) نهاية السول (ص١٦٥).

وبنقل العدول عن رسول الله ﷺ أخرجاه في الصحيحين وغيرهما، وقد أفردت جزءا في ذلك فيه خمسة وعشرون صحابيا... وهذا حديث متواتر»[١].

٤- جزء في التيمم وأحاديثه وبيان عللها

ذكره ابن دحية في كتابه «التنوير في مولد السراج المنير» فقال: «قد أفردت للتيمم وهيئته وأحاديثه وبيان عللها، والصحيح في الصعيد ما هو من الكتاب والسنة وكتب اللغة جزءا مفيدا نفعنا الله».

٥- جزء في المحبة

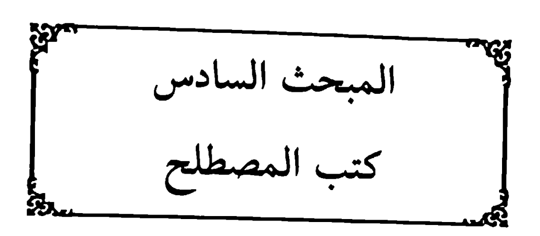
ذكره في التنوير أيضا، وقال «وقد أفردت للمحبة[٢] جزءا مفيدا نفعنا الله».

❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) الابتهاج بأحاديث المعراج (ص٧٧.

(٢) أي محبة الله ورسوله وعلاماتها وشروطها.



المبحث السادس
كتب المصطلح

١-تأليف في بلاغات مالك

ذكره المؤلف نفسه في «العلم المشهور» وهو يتحدث عن مذهب الإمام مالك من أن مرسل الثقة تجب به الحجة ويلزم به العمل كما يجب بالمسند سواء.

والبلاغات هي الأحاديث المتقطعة التي يسوقها الإمام مالك في الموطأ ويقول فيها: بلغني عن فلان الصحابي، أو بلغني أن رسول الله ﷺ قال كذا وكذا، أو فعل كذا وكذا. وهي في ظاهرها أحاديث ضعيفة لانقطاع أسانيدها، ولذلك اشتغل الحافظ ابن عبد البر في وصلها من خلال كتابه التمهيد، وكذا الإمام السيوطي، وابن الصلاح في رسالته: وصل البلاغات الأربع.

ولا شك أن كتاب الحافظ ابن دحية إضافة علمية تؤكد عمل الحافظ ابن عبد البر، وتؤكد أن الإمام مالك لم يكن يورد في كتابه الموطأ ما كان ضعيفا مردودا رغم أنه كان يسوق بعض الأحاديث بالأسانيد المنقطعة أو من غيرها أصلا رغبة في الاختصار واعتمادا على معرفة الناس في زمانه بهؤلاء الرواة الذين يغفل ذكر أسمائهم.

٢- نثر الدرر في فضل من تمسك بسنة سيد البشر

ذكره ابن الشعار، وهو في بيان فضل السنة النبوية الشريفة ومكانتها ووجوب اتباعها والتمسك بها، وابن دحية فارس هذا الميدان، وسيده والعارف به، كما يظهر ذلك في كتبه الأخرى التي أبان فيها عن تلك المعرفة الكبيرة والحفظ الواسع والفهم الثاقب.

٣- مصنف في رجال الحديث

ذكره الغبريني في «عنوان الدراية» ولم يعط له عنوانا محددا، ولكنه استحسنه[١]، وهو الكتاب الذي سماه ابن ناصر الدين الدمشقي بالوفيات في أكثر من موقع من كتابه «توضيح المشتبه»[٢]، ويبدو من طبيعته النقول التي أوردها ابن ناصر الدين أنه مرتب على الوفيات، لكنه يحرص على وصف الأعلام المذكورين بما يعرفه عنهم من علم ومعرفة وحفظ ورواية.

❊ ❊ ❊ ❊

خاتمة

كانت هذه ترجمة ليست بالقصيرة المجحفة ولا بالطويلة المملة، نأمل أن تكون قد أعطت صورة واضحة عن هذا العلم المتميز في التاريخ العلمي للمغرب بنسبه الشريف، وتكوينه الرصين، وشخصيته الفذة والمتوثبة والمستفزة، ومؤلفاته الرائقة والمفيدة، وحياته في شقها المغربي وشقها المشرقي.

وحق له أن يتباهى بما خطت يداه من تلك المصنفات الرائقة الممتعة قائلا:

ومصنفات باليمين كتبتها كنفيس در في العقود منضد

وأخيرا ندعو لهذا الحافظ الكبير بما كان هو نفسه يتضرع به منشدا:

يا رب فاغفر جرم عبد خاضع عان بأقياد الذنوب مقيد
اسدل عليه برد رحم سابغا متجددا في رقة المتجدد
وافسح له في ضيق حفرة قبره أكرم به مثواه فيه وجهدد
واجعل كلامك والحديث أنيسه في وحشة المثوى بذاك المرقد
أنعم بريحان الجنان لروحه وانشر لها روح النعيم وجدد

فرحمة الله عليه وعلى سائر أعلام هذه الأمة ومناراتها الذين خدموا القرآن والسنة، فورثنا عنهم علوما يُنتفع بها ومصنفات هي صدقات جارية، ثمراتها مبذولة للأجيال المتعاقبة إلى أن يشاء الله عز وجل.



الفصل الثاني

كتاب «من ألقم الحجر» موضوعه وفوائده

المبحث الأول: توثيقه

ذكره ابن الشعار في قلائد الجمال ضمن مؤلفات ابن دحية[١].

وفي إحدى طرر نسخة مخطوطة من كتاب الشفا ذكر لهذا الكتاب، فقد ورد هذا النص: أهجر بفتح الهمزة والهاء والجيم، وفي رواية: أهجر بفتح الهمزة وضم الهاء، قال ابن الأثير: أي هل تغير كلامه واختلط لها به من المرض، هذا أحسن ما يقال فيه ولا يجعل إخبارا ليكون من الفحش والهذيان، والقائل كان عمر لا يظن به ذلك، انتهى. وقد أفرد ابن دحية هذه اللفظة بتأليف[٢].

كما أن الكتاب نفسه شمل على عبارة «قال ذو النسبين» أو قال: «ذو النسبتين»، وهو أمر درج عليه ابن دحية في كتبه. وفيه إحالة على كتب أخرى للمؤلف صحيحة النسبة إليه «كالابتهاج» و«أداء ما وجب».

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) أنظر تراجم مغربية من مصادر مغربية لمحمد بن شريفة (ص٧٨).

(٢) السفر الثاني من كتاب الشفا للقاضي عياض، طرة الورقة مخطوط في خزانة خاصة.

المبحث الثاني: موضوع الكتاب

هذا الكتاب واحد من مؤلفات الحافظ أبي الخطاب بن دحية السبتي التي تنبئ عن إمامته في العلم وعلو كعبه فيه. موضوعه هو شرح لحديث يتعلق بحدث من أحداث السيرة في آخر حياة النبي ﷺ وقد اشتد به المرض حينما دعا الصحابة إلى أن يأتوه بما يكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده أبدا، فتنازعوا واختلفوا وكثر لغطهم، وقال بعضهم: ماله، أهجر، وهو حديث أخرجه الشيخان وغيرهما، وقد شرح المؤلف في هذا الكتاب معنى: أهجر، وبرأ الصحابة الكرام من تهمة إطلاق الهجر على النبي ﷺ، وهو الهذيان، لما فيه من تعارض مع مبدأ العصمة النبوية، ومع عدالة الصحابة الأطهار وشدة توقيرهم للنبي ﷺ وتعظيمهم له واحترازهم من مخالفته أو عدم التأدب معه، فإن ذلك يخرجهم من دائرة الإيمان، وإذا ثبت هذا في حقهم فلا يستبعد كما يذكر المؤلف أن يتمالؤوا على أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ويسلبوا حقه. وذلك أكبر متعلق الروافض في الطعن في الصحابة وتجريحهم. وقد ذكر أبو الخطاب ابن دحية في معرض شرحه للحديث والرد على الروافض بعض الأحداث التي واكبت المسألة، وذكر بعض مناقب الصحابة وخاصة الشيخين، وقصة مبايعة الخليفة الصديق، ونقاء صدور الكبار من هؤلاء الأصحاب من حطام الدنيا، ومن الجري وراء الترأُسِ والخلافة وأن ذلك لم يكن من مصطلحهم ولا مطلعهم.

المبحث الثالث: فوائد الكتاب

شغل الحديث الذي شرحه ابن دحية السبتي في هذا الكتاب، وخصوصا مسألة الهجر، عددا من علماء الأمة وشراح الحديث كالقاضي عياض السبي والإمام النووي والقرطبي وأبي عبد الله المازري والخطابي وغيرهم، قال الحافظ ابن حجر: «وقد تكلم عياض تلخيصا حسنا ثم لخصته من كلامه» إلا أن ابن دحية السبتي يتميز عن هؤلاء بأن أفرد المسألة في كتاب مستقل وفصل فيها القول من جوانب متعددة.

ويمتاز هذا الكتاب أيضا بفوائد كثيرة يقدمها المؤلف عن طريق الاستطرادات -كعادته في سائر كتبه- من ذلك:

١)- الفوائد المستخلصة من النصوص التي يستدل بها كالفوائد المستخلصة من الحديث «لله أشد فرحا بتوبة عبد» ذكرها استطرادا.

٢)- شرح الألفاظ الغربية، وهذا أمر واضح في هذا الكتاب أيضا من ذلك شرحه لـ: أهجر وهجر، والفرح، وأيس، وعقر، ورسلك، ونشج، واللغط، ولم يقف المؤلف عند مجرد شرح الغريب بل إنه يشرح الحديث بأكمله أو يستخلص منه الفوائد انطلاقا من النكت والوجوه اللغوية.

٣)- ذكر بعض الأحداث في عصر النبوة والخلافة الراشدة وحكاية تأدب الصحابة مع النبي ﷺ، وحكاية حالهم عند وفاته، وخطبة أبي بكر- رضي الله عنه- فيهم، وبعض ما كان في سقيفة بني ساعدة ومبايعة الصديق على الخلافة.

٤)- ذكر لأحوال بعض الرواة تعديلا وتجريحا.

٥)- حرص شديد على ذكر مصادره التي ينقل منها، وفي غالبها مصادر حديثية كالصحيحين والموطأ والمسند وجامع الترمذي ومصادر في السيرة النبوية وتاريخ الصحابة.

٦)- توثيق دقيق للنصوص التي يستدل بها كقوله بعد أن نقل كلام عمر يوم السقيفة «أخرجه الإمام أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب عن عبد الله بن مسعود في ترجمة أبي بكر من حرف العين»[١].

وكقوله: «وأسقطها البخاري في أول صحيحه من كتاب العلم في باب كتاب العلم... وكذلك أسقطها البخاري في باب كراهية الاختلاف في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وهو آخر الديوان...»[٢].

❋ ❋ ❋ ❋

(١) أنظر (ص٩٥)، من هذا الكتاب.

(٢) أنظر تراجم مغربية من مصادر مغربية لمحمد بن شريفة (ص٧٨).

المبحث الرابع:
النسخة الخطية لهذا الكتاب

لهذا الكتاب نسخة خطية فريدة بمكتبة الأسكوريال رقم ١١٩٠، ولم أقف -فيما رجعت إليه من فهارس خزائن المخطوطات- على نسخة أخرى، تماما كما حصل بالنسبة لمعظم مؤلفات ابن دحية، فقد حققت انطلاقا من نسخة واحدة.

وإنه من المتعين تحقيق هذه المخطوطة بنسختها الفريدة ففي ذلك إنقاذا لها من عالم الضياع، وفي ذلك أيضا تقديم لكتاب تناول موضوعا دقيقا للغاية قد تزل فيه الأقدام وتنحرف الأفهام وتدحض الأقلام، وهو موضوع يتعلق بعصمة النبي ﷺ، وبعدالة الصحابة، وباستحالة أن يصدر عنهم ما يتنافى مع العصمة النبوية أو يسقط عدالتهم.

النسخة المعتمدة نسخة تامة من إملاء المؤلف، ورواية تلميذه محمد بن محمد بن يحيى السبتي سماعا عليه مرارا عديدة، وقرأه عليه سنة ٦٢٨هـ.

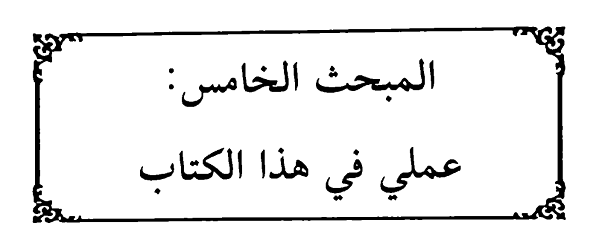
النسخة كتبت بخط مغربي مقروء. وهي مقابلة مصححة على أصل المؤلف. كما أثبت ذلك الناسخ وهو محمد بن محمد بن يحيى السبتي

المذكور في حاشية الورقة ١٧٢ ب حيث كتب: بلغت مقابلته بأصل المؤلف. وهي بذلك نسخة جيدة ومعتمدة وكافية في التحقيق[١] وتشمل هذه النسخة على علامة المقابلة والتصحيح المعروفة وهي دائرة صغيرة وضعت داخلة نقطة.

كما تشمل على علامة الإلحاق أو السقط-أو-وقد كتب الساقط في الحواشي. وفي هذه النسخة أيضا علامة المهمل، وهي حاء صغيرة كتبت تحت الحروف المهملة. وفي بعض حواشيها شرح لبعض الغريب الذي لم يشرحه المؤلف في المتن-وهذا من معالم منهج ابن دحية في كتبه-ولعل ما كتب في هذه الحواشي هو من إضافات المؤلف نفسه لما قرئت عليه هذه النسخة، ولذلك أثبتها في الهوامش.



(١) قال الأستاذ الدكتور مرفق بن عبد الله بن عبد القادر في كتابه: «توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين (ص٨٤): «قد لا يقف المحقق إلا على نسخة وحيدة وهذا أمر يحدث كثيرا، فإذا كانت النسخة قد عورضت وقوبلت وصححت وقرأها عدد من العلماء، وكتب عليها السماعات والبلاغات وخطوط العلماء، وقد قرئت على مصنفيها، إضافة إلى كون ناسخها من أهلال الضبط والتقييد، وذي خط حسن جميل». فإن هذه النسخة خير ألف مرة من كتاب تعددت نسخة غير أنها لم تف بالمطلوب وهو الوصول إلى ما كتبه المؤلف فنسخه واحدة مقابلة ومعارضة قد تكفي في التحقيق.



المبحث الخامس:
عملي في هذا الكتاب

أولا: نسخت المخطوط.

ثانيا: عزوت الآيات الواردة في المتن إلى سورها من القرآن الكريم.

ثالثا: خرجت الأحاديث التي يوردها المؤلف ويعزوها في الغالب إلى الشيخين في صحيحهما، وقد يعزو بعضها إلى مالك في الموطأ، أو إلى الترمذي في جامعه.

رابعا: فصلت في بعض القضايا والمسائل التي تحتاج إلى تفصيل.

خامسا: شرحت بعض ما يحتاج إلى شرح من غريب الألفاظ.

سادسا: عرفت ببعض الأعلام الذين وردت أسماؤهم في المتن وأشرت إلى بعض المصادر التي ترجمت لهم.

سابعا: صححت بعض التصحيفات القليلة الواقعة في الأصل حسب ما أدى إليه اجتهادي، أو بالرجوع إلى بعض المصادر التي ينقل منها المؤلف.

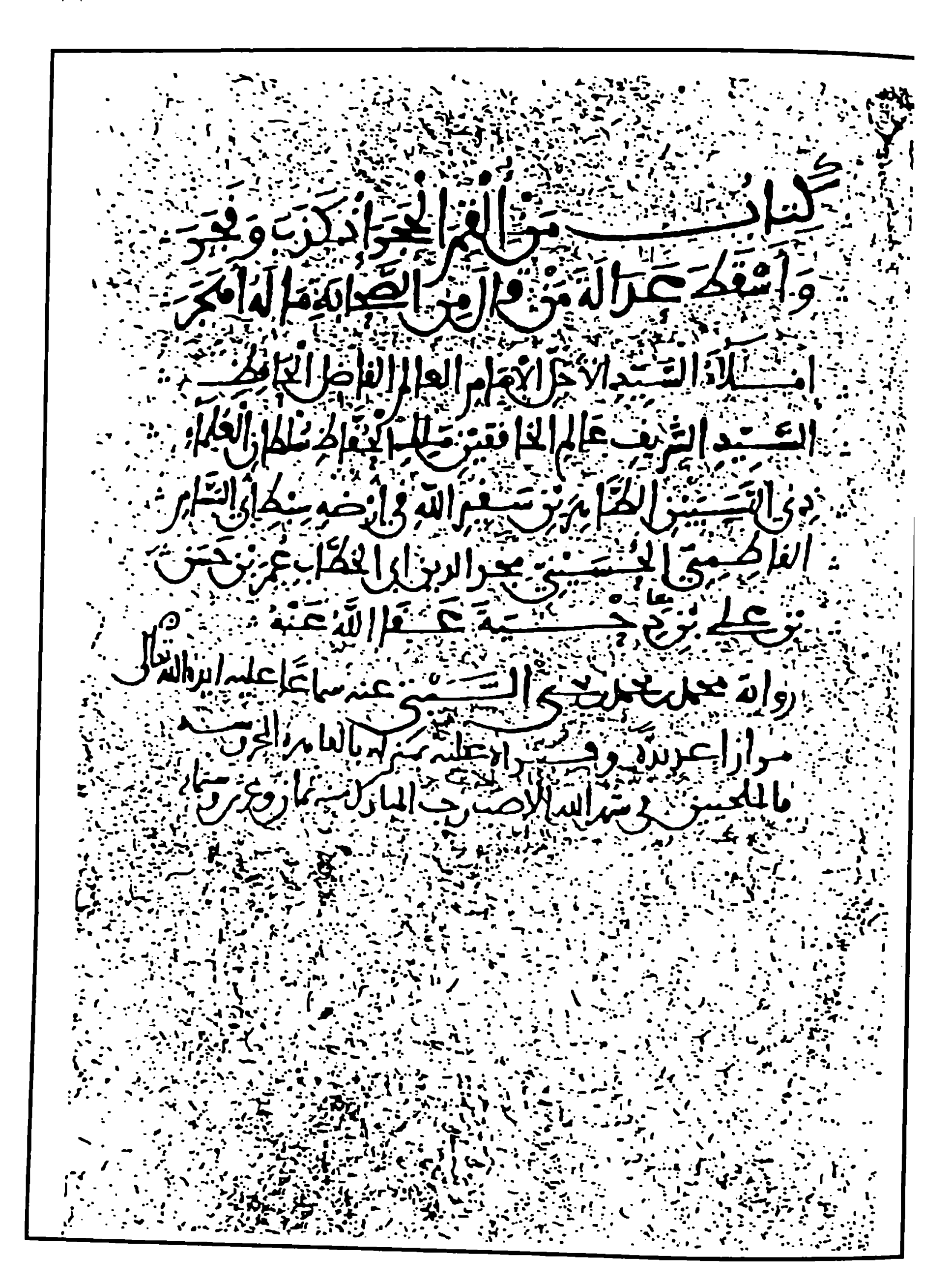
ثامنا: أثبت ما في الحواشي من شرح للغريب.

تاسعا: قدمت لهذا العمل بدراسة عرفت فيها بالمؤلف وبأهم مراحل حياته وبمؤلفاته، وبمكانته، ثم بموضوع هذا الكتاب وقيمته.

عاشرا: وضعت فهارس تكميلية رتبت فيها ما جاء في الكتاب من:

- آيات قرآنية.
- وأحاديث نبوية.
- وأبيات شعرية.
- وأسماء الكتب.
- وأسماء الأعلام.
- والمدن والبلدان.
- والمدارس ودور العلم.
- والمصادر والمراجع.
- والمواضيع.

أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت في تحقيق هذا المخطوط، وأن أكون قد قدمت للناس كتابا نافعا يكون في ميزان حسناتي وحسنات مؤلفه، وكل من كان له فضل في تحقيقه وإخراجه إلى النور، والحمد لله في البدء والختام.



كتاب من ألقم الحجر إذ كذب وفجر
وأسقط عدالة من والى من الصحابة من له أمر
إملاء السيد الأجل الإمام العالم الفاضل الحافظ
السيد الشريف عالم الخافقين ملك الحفاظ سلطان العلماء
ذي النسبين الطاهرين سقى الله في أرضه [illegible]
الفاطمي الحسني مجد الدين أبي الخطاب عمر بن حسن
بن علي بن دحية عفا الله عنه
رواه محمد بن عمر بن يحيى السبتي عنه سماعا عليه أبقاه الله تعالى
مرارا عديدة وقراءة عليه بمنزله بالقاهرة المحروسة
ما بالمحسن في شهر الله الأصب رجب المبارك سنة ثمان وعشرين وستمائة

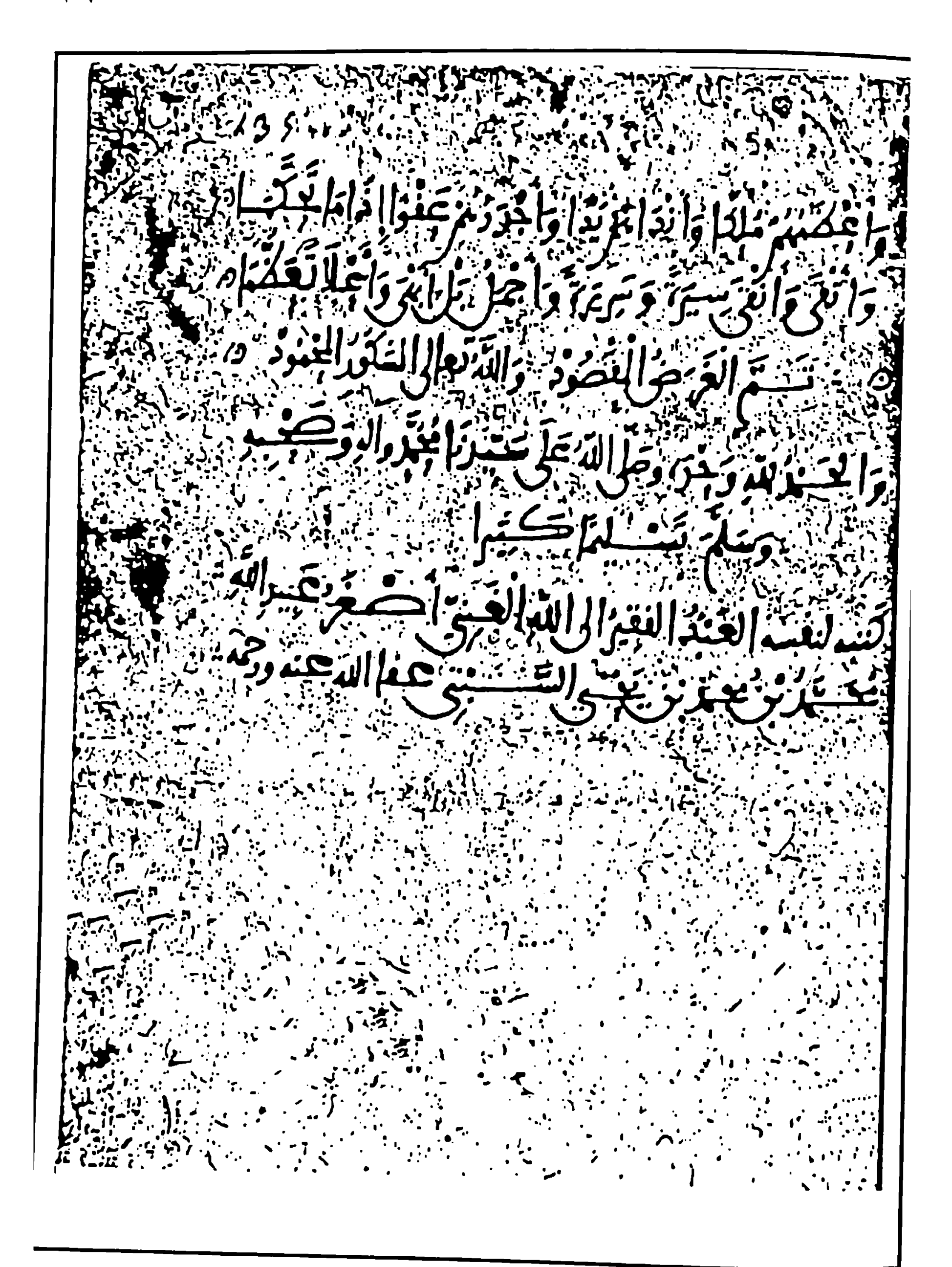
الورقة الأولى من المخطوط

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

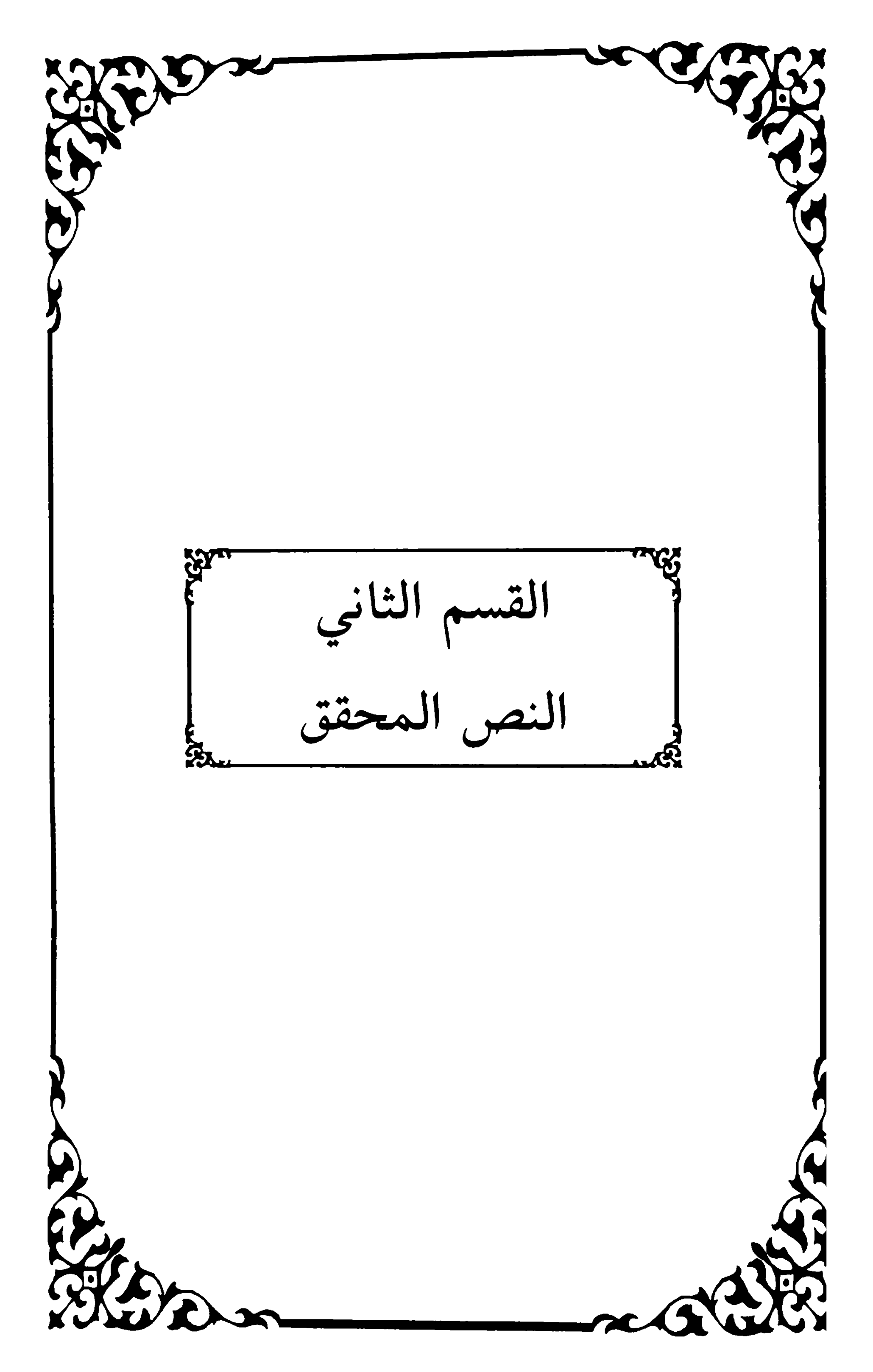
أما بعد حمد الله حق حمده وصلواته على محمد نبيه وعبده
وعلى آله الطاهرين وأصحابه المتبعين من بعده فإن مولانا
السلطان الملك الكامل الفاضل سلطان المسلمين عز
الملوك والسلاطين ظهير أمير المؤمنين خلد الله سلطانه
وأعظم قدره وشأنه وجعل الأقدار خدامه
وأعوانه جرى على منهاجه في إحياء العلوم
وخص بسؤاله الذي من طراز التشريف المعلوم
وذلك عن قول الصحابة رضي الله عنهم
في برص رسول الله صلى الله عليه وسلم ما له محرم
وهذه مسألة عظيمة الجدوى نحتاج
إلى شرح وبيان في الفتوى وفي أكثر متعلق
الرواة من ذكر الصحابة الكرام وقولهم فيهم
أنهم أطلقوا الهجر ومواليه الذين على النبي المعصوم
عليه أفضل الصلاة وأشرف السلام وفيه مبنى
اعتقاد ذلك فيهم إبطال العدالة فيهم وخروج عن

مقدمة المؤلف



وأعظمهم ملكا وأبدا مزيدا وأجودهم عفوا إذا ما تحكما
وأتقى وأنقى سيرة وسريرة وأجمل بذلا [illegible] وأعلا تعظما
تم الغرض المقصود والله تعالى المشكور المحمود
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا
كتبه لنفسه العبد الفقير إلى الله الغني أضعف عبيد الله
محمد بن محمد بن يحيى الشبتي عفا الله عنه ورحمه

الورقة الأخيرة من المخطوط



القسم الثاني

النص المحقق

مَنْ أَلْقَمَ الحَجَرَ إِذْ كَذَبَ وَفَجَرَ

وَأَسْقَطَ عَدَالَةَ مَنْ قَالَ مِنَ الصَّحَابَةِ : مَا لَهُ أَهْجَرَ

إِمْلاَءُ السَّيِّدِ الأَجَلِّ الإِمَامِ الْعَالِمِ الْفَاضِلِ الْحَافِظِ السَّيِّدِ الشَّرِيفِ

عَالِمِ الْخَافِقَيْنِ مَلِكِ الْحُفَّاظِ سُلْطَان الْعُلَمَاءِ ، ذِي النَّسَبَيْنِ الطَّاهِرَيْنِ

سَفِيرِ اللهِ فِي أَرْضِهِ ، سِبْطِ أَبِي الْبَسَّامِ الْفَاطِمِي الْحُسَيْنِيِّ

مَجْدِ الدِّينِ أَبِي الْخَطَّابِ عُمَرَ بن حَسَنٍ بن عَلِيٍّ بن دِحْيَةَ عَفَا اللهُ عَنْهُ

رواية محمدٍ بن مُحَمَّدٍ بن يَحْيَى السِّبْتِي عَنْهُ

سَمَاعًا عَلَيْهِ أَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى مِرَارًا عَدِيدَةً ،

وَقَرَأَهُ بِمَنْزِلِهِ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ بِالملحيين

فِي شَهْرِ اللهِ الأَحَبِّ رَجَب الْمُبَارَكِ سَنَة ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمَائَةٍ



صلى اللهُ على سيدنا محمد وآله وسلم

أَمَّا بَعْدُ حَمْدًا للهِ حَقَّ حَمْدِهِ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ، الْمَعْصُومِ وَعَبْدِهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَأَصْحَابِهِ الْمُنْتَجِينَ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِنَّ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ المَالِكَ الْكَامِلَ[١] الفَاضِلَ سُلْطَانَ الْمُسْلِمِينَ، عِزَّ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِين، ظَهِيرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، خَلَّدَ اللهُ سُلْطَانَهُ وَأَعْظَمَ قَدْرَهُ وَشَأْنَهُ وَجَعَلَ الأَقْدَارَ خُدَّامَهُ وَأَعْوَانَهُ[٢]، جَرَى عَلَى منهاجه فِي إِحْيَاءِ الْعُلُومِ، وَخَصَّنِي بِسُؤَالِهِ الذِي هُوَ طِرَازُ التَّشْرِيفِ المَعْلُومِ، وذلك عَنْ قَوْلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم فِي مَرَضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَا لَهُ أَهَجَرَ[٣].

وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ عَظِيمَةُ الْجَدْوَى تَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ وبَيَانٍ فِي الْفَتْوَى، وَهِيَ أَكْبَرُ مُتَعَلَّقِ الرَّوَافِضِ[٤] فِي ذَمِّ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ، وَقَوْلِهِمْ فِيهِمْ إِنَّهُمْ أَطْلَقُوا

---

(١) سبقت ترجمته انظر (ص٢٠) من هذا الكتاب.

(٢) هذا من مبالغات المؤلف - غفر الله لنا وله ورحمنا وإياه - في مدح الملك الكامل صاحب مصر إذ يطلب هنا ما لا يكون بجعل الأقدار من جملة خدامه وأعوانه.

(٣) سيأتي تخريج الحديث المتضمن لقول الصحابة: ماله أهجر، بطرقه.

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في التعريف بالروافض: «وأما لفظ الرافضة، فهذا أول ما ظهر في الإسلام لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك وأتبعه الشيعة فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاها وترحم عليهما، فرفضه قوم فقال: رفضتموني، فسموا: الرافضة، فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر =

الْهُجْرَ وَهُوَ الْهَذَيَانُ عَلَى النَّبِيِّ الْمَعْصُومِ[١] عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَأَشْرَفُ السَّلاَمِ، وَفِيهِ مِن اعْتِقَادِ ذلك فِيهِمْ إِبْطَالٌ لِعَدَالَتِهِمْ، وَخُرُوجٌ عَنْ قَانُونِ دِيَانَتِهِمْ، وَرِبْقَةِ أَمَانَتِهِمْ، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ أَمَرَ بِتَوْقِيرِ نَبِيِّهِ وَتَعْزِيرِهِ[٢]، وَأَنْ لاَ يَرْفَعَ أَحَدٌ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِهِ، عَلَى مَا جَاءَ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ الْمُبِينِ[٣]، وَأَنْ لاَ يُؤْمِنَ أَحَدٌ حَتَّى يَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ عَلَى مَا ثَبَتَ بِاتِّفَاقٍ عَنْ خَاتِمِ النَّبِيِئِينَ[٤].

= محمد بن علي، والزيدية يتولون زيدا وينسبون إليه، ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى زيدية ورافضة إمامية (انظر مجموع فتاوي ابن تيمية ٦/٣٥-٣٦). وانظر أيضا المؤلفات الرائقة البديعة المفيدة للشيخ العلامة إحسان إلهي ظهير عن الشيعة وموقفهم من آل البيت، ومن القرآن، ومن السنة. ومعظمهم نصوص ونقول كتبه من كتب الشيعة أنفسهم.

(١) الأنبياء معصومون قبل النبوة وبعدها من الوقوع في الذنوب ولاسيما الشرك وكبائر الإثم والفواحش وصغائر الخسة، وبقطع النظر عن النصوص وأقوال العلماء الدالة على ذلك فإن إعدادهم لهداية الناس وإرشادهم والتبليغ عن الله عز وجل يقضي بأن يكونوا كذلك، لأنهم محل القدوة والاتباع والتلقي، والناس لا ينقادون لمن لم يكن طاهر البدن نقي الصفحة منظورا إليه بعين الرضا، وقد تبين ذلك في تلقيب النبي ﷺ قبل النبوة بالأمين، وأخذهم بإشارته في إعادة الحجر الأسود إلى مكانه من الكعبة المشرفة عند تجديدهم لبنائها، وعدم مشاركة قومه في كافة الرذائل والانحرافات التي كانت عندهم ظاهرة مألوفة والبدايات علامة النهايات.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾ سورة الفتح الآيتان ٨-٩ وانظر ما قاله الإمام الزمخشري في الكشاف (٤/٣٣٥) بخصوص الضمير في تعزروه وتوقروه.

(٣) كما في قوله في سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الآيتان ٢-٣.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان من صحيحه باب حب الرسول ﷺ من =

وَمَقْصِدُ الرَّوَافِضِ فِي هَذهِ الْمَسْأَلَةِ أَنْ يَجْعَلُوا الصَّحَابَةَ ظَالِمِينَ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَيْهِمُ الْخُرُوجَ عَنْ دَائِرَةِ الإِيمَانِ بِإِطْلاَقِ الْهُجْرِ عَلَى الرَّسُولِ الْمَعْصُومِ الْمُؤَيَّدِ بِالْقُرْآنِ، فَلاَ عَجَبَ مِنِ اعْتِقَادِ تَمَالُئِهِمْ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ. وَهَذَا عَيْنُ الْكَذِبِ مِنْ هَؤُلاَءِ الأَشْرَارِ، فَقَدْ كَانَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ عَلَى فَظَاظَتِهِ لاَ يُكَلِّمُهُ بَعْدَ نُزُولِ الآيَةِ إِلاَّ كَأَخِي السَّرَّارِ، وَيَبْرِكُ بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَرِيمَتَيْنِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، كَمَا ثَبَتَ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ النَّقْلِ، وَحُفَّاظِ الآثَارِ[1]، وَكَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يُوَقِّرُونَهُ وَيُعَزِّرُونَهُ وَيَقْتَتِلُونَ[2] عَلَى بَقِيَّةِ وُضُوئِهِ، وَيَتَمَسَّحُونَ بِبَلَلِ يَدٍ مَسَّتْهُ، وَلاَ يَحْتَقِرُونَهُ، وَلاَ يَبْصُقُ بُصَاقًا إِلاَّ ابْتَدَرُوهُ، وَلاَ يَسْقُطُ مِنْ شَعَرِهِ شَيْءٌ إِلاَّ أَخَذُوهُ وَادَّخَرُوهُ، وَقَالَ عُرْوَةُ بن مَسْعُودٍ سَيِّدُ ثَقِيفٍ لِقُرَيْشٍ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي جِئْتُ كِسْرَى فِي مُلْكِهِ، وَقَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ،

= الإيمان رقم الحديث ١٣-١٤ (١/١٧). وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين... الحديث ٧٠ (١/٦٧). وابن ماجة مقدمة كتاب السنن باب في الإيمان رقم الحديث ٦٧ (١/٢٦).

(١) منهم الإمام البخاري في كتاب المغازي من صحيحه باب غزوة عيينة ابن حصن/ وفي كتاب التفسير قوله تعالى: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ وباب تفسير ﴿إن الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ من سورة الحجرات. والترمذي في كتاب تفسير القرآن من جامعه باب ٤٩ من سورة الحجرات رقم الحديث ٣٢٦٦.

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب الوضوء باب ٤٠ باب استعمال فضل وضوء الناس الحديث رقم ٥١-٥٢ (١/٩٧-٩٨) وكتاب الصلاة باب ٩٤ باب السترة بمكة وغيرها الحديث رقم ١٥٠ (١/٢١٢-٢١٣).

وَالنَّجَاشِيَ فِي مُلْكِهِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكًا فِي قَوْمٍ قَطُّ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمًا لاَ يَسْلِمُونَهُ لِشَيْءٍ أَبَدًا.

وَقَدْ رَأَى مَمْلُوكُ الْمَقَامِ الأَسْمَى السُّلْطَانِي الْمَلَكِي النَّاصِرِي أَسْمَاهُ اللهُ وَأَعْلاَهُ، وَأَطْلَعَ كَوَاكِبَ سَعْدِهِ فِي سَمَاءِ عُلاَهِ أَنْ يُؤَدِّيَ فَرْضًا بِجَوَابِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَيَحُلَّ بِيَدِ الْبَيَانِ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْمُشْكِلَةِ، وَيُجْمِلَهُ لِخِدْمَةِ مَقَامِهِ أَعْلاَهُ اللهُ إِعْلاَءً يُدَانِي الْفَرْقَدَيْنِ وَيَجْعَلَ كُلَّ قَدَرٍ مَرْفُوعًا لَهُ الْيَدَيْنِ.

فَأَقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ: الْكَلاَمُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يَتَعَلَّقُ بِسَنَدِهَا ثُمَّ لَفْظِهَا ثُمَّ مَعْنَاهَا.

أَمَّا السَّنَدُ: فَهِيَ مُخْرَجَةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ[١] بِهَذَا اللَّفْظِ الْمَذْكُورِ وَفِي كِبَارِ الْمُصَنَّفَاتِ، وَلاَ خِلاَفَ فِي صِحَّتِهَا بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ الأَثْبَاتِ.

وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَاضِرًا وَكِبَارُ الصَّحَابَةِ فِي جَمِيعِ الرِّوَايَاتِ، وَأَسْقَطَهَا الْبُخَارِي فِي أَوَّلِ صَحِيحِهِ مِنْ كِتَابِ الْعِلْمِ فِي بَابِ كِتَابَةِ الْعِلْمِ[٢] وَلَمْ يَذْكُرْهَا اقْتِدَاءً بِأَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ حَيْثُ يَقُولُ: انْقُصْ مِنَ الْحَدِيثِ وَلاَ تَزِدْ فِيهِ، فَمَنْ زَادَ فِيهِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ[٣].

---

(١) سيأتي ذكر من أخرج هذا الحديث بطرقه المتعددة تبعا لما ذكره المؤلف مفرقا في هذا الكتاب.

(٢) الجامع الصحيح كتاب العلم باب كتابة العلم الحديث رقم ٥٥ (١/٦٥-٦٦).

(٣) هو حديث متواتر رواه جمع من الصحابة، أخرجه البخاري في كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ (١/٦٣-٦٤)، قال ابن الجوزي: رواه عن النبي ﷺ ثمانية وتسعون صحابيا منهم العشرة، وذكر ابن دحية أنه خرج من نحو أربعمائة طريق. =

وَكَـذَلِكَ أَسْـقَطَهَا الْبُخَـارِي فِـي بَـابِ كَرَاهِيَـةِ الاِخْـتِلاَفِ فِـي كِتَـابِ الاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهُوَ آخِرُ الدِّيوَانِ، ثُمَّ أَثْبَتَهَا عَلَى وَجْهِهَا خَوْفًا مِنْ كِتْمَانِهَا فِي بَابِ إِخْرَاجِ الْيَهُودِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ مِنْ كِتَابِ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ فَقَالَ فِيمَا حَدَّثَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ شُيُوخِنَا بِالأَنْـدَلُسِ وَخُرَاسَانَ مِنْهُمُ الْمُحْرِزُ لِقَصَبِ السَّبْقِ فِي كُلِّ خَيْرٍ الْفَقِيهُ الأُسْتَاذُ الْفَاضِلُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بـن خَيْرٍ[1] قِرَاءَةً مِنِّي عَلَيْهِ بِمَسْجِدِهِ بِإِشْبِيلْيَةَ فِي شَهْرِ صَفَرٍ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ

= وأفرد جمع من الحفاظ طرقه منهم الحافظ أبو القاسم الطبراني (٣٦٠ هت) (طبع بتحقيق وتخريج علي حسن علي عبد الحميد وهشام بن إسماعيل السقا عام ١٤١٠هـ بالمكتب الإسلامي بيروت ودار عمار بعمان)، وانظر كشف الخفاء للعجلوني (٣٦٢/٢).

ورواه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ (٩/١-١٠ رقم الحديث ١-٢-٣-٤).

ورواه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في تعظيم الكذب على رسول الله ﷺ ج٥ (ص٣٤ رقم الحديث ٢٦٥٩-٢٦٦٠-٢٦٦١.

ورواه ابن ماجة في المقدمة من سننه باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله (١٣/١) رقم الحديث ٣٠-٣٧.

ورواه الدارمي في القمدمة باب اتقاء الحديث عن النبي والتثبت فيه (٨٧/١) وأخرجه الإمام مالك بلفظ: من حلف علي منبري آثما تبوأ مقعده من النار، في كتاب الأقضية باب ما جاء في الحنث على منبر النبي ﷺ، وبهذا اللفظ أيضا. وأخرجه أبو داود في كتاب الإيمان والنذور من سننه باب ما جاء في تعظيم اليمين عند منبر النبي صلى الله، وبهذا اللفظ أيضا. وأخرجه أبو داود في كتاب الإيمان والنذور من سننه باب ما جاء في تعظيم اليمين عند منبر النبي ﷺ وأخرجه أيضا ابن ماجة في كتاب الأحكام باب اليمين عند قاطع الحقوق.

(١) هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد خير الإشبيلي (٥٧٥هـ) صاحب البرنامج المشهور =

وَخَمسِمَائَةٍ، حَدَّثَنَا جَمَاعَةٌ مِنْ شُيُوخِنَا أَقْدَمُهُمْ إِسْنَادًا الإِمَامُ أَبُو الأَصْبَغِ عِيسَى بن مُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي الْبَحْرِ الزَّهْرِيّ قَالَ سَمِعْتُهُ عَلَى الْحُرَّةِ الْفَاضِلَةِ الْمُجَاوِرَةِ بِحَرَمِ اللهِ كَرِيمَةِ بِنْتِ أَحْمَدَ الْكُشْمِيهَنِيَّةِ[1] قَالَتْ: سَمِعْتُهُ عَلَى الأَدِيبِ أَبِي الْهَيْثَمِ مُحَمَّدِ بن الْمَكِّي بن زَرَّاعٍ الْكُشْمِيهَنِي[2] حَدَّثَنَا أَبُو عبد اللهِ مُحَمَّدُ بن يُوسُفَ بن مَطَرٍ الْفِرَبْرِيّ[3] قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عبد اللهِ

= بفهرست ابن خير المطبوع، انظر ترجمه في التكملة لابن الأبار (٥٢٣/٢) وسير أعلام النبلاء (٨٥/٢١). وتذكره الحفاظ (١٣٦٦/٤) والعبر (٢٢٥/٤).

وانظر الدراسة الوافية عنه في مقدمة فهرسته لفرسيسكو كوديره، وكتاب فهارس علماء المغرب للدكتور عبد الله المرابط الترغي (ص٢١٧) وما بعدها.

(١) هي العالمة الفاضلة المسندة كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية المجاورة بحرم الله، سمعت من أبي الهيثم الكشميهني صحيح البخاري. وكانت إذا روت قابلت بأصلها، وكان لها فهم ومعرفة مع الخير والتعبد، روت الصحيح مرات كثيرة. حدث عنها الكبار كأبي بكر الخطيب وأبي الغنائم البرسي.

توفيت عام ثلاث وستين وأربع مائة، انظر ترجمتها في الإكمال لابن ماكولا (١٧١/٧). والمنتظم لابن الجوزي (٢٧٠/٨) والكامل (٦٩/١٠) وسير أعلام النبلاء (٢٣٣/١٨) والعبر (٢٥٤/٣) والبداية والنهاية (١٠٥/١٢).

(٢) محدث ثقة، حدث بصحيح البخاري مرات عن أبي عبد الله الفربري، وعنه سمعه الكبار كأبي ذر الهروي وكريمة المروزية، توفي في يوم عرفة سنة تسع وثمانين وثلاث مائة، انظر ترجمته في الأنساب للسمعاني (٤٣٧/١٠) وسير أعلام النبلاء (٤٩١/١٦) والعبر (٤٤/٣).

(٣) هو راوية الجامع الصحيح عن الإمام البخاري، سمعه منه بفربر مرتين. كان ثقة سمع منه عدد من الحفاظ كأبي علي بن السكن وأبي الهيثم الكشميهني والفقيه أبي زيد المروزي. توفي عام عشرين وثلاث مائة. انظر ترجمته في الأنساب (٢٦٠/٩) ومعجم البلدان (٢٤٦/٤ ووفيات الأعيان (٢٩٠/٤) وسير أعلام النبلاء (١٠/١٥) والعبر (١٣٨/٢) والوافي بالوفيات (٢٤٥/٥).

مُحَمَّدَ بن إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيَ يَقُولُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ[١] عَنْ سُلَيْمَانَ ابْنِ أَبِي مُسْلِمٍ[٢] سَمِعَ سَعِيدَ بن جُبَيْرٍ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: يَوْمَ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ، ثُمَّ بَكَى[٣] حَتَّى بَلَّ دَمْعُهُ الْحَصَى، قُلْتُ: يَا ابْنَ[٤] عَبَّاسٍ: وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ؟ قَالَ: اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعُهُ فَقَالَ: ائْتُونِي بِكَتِفٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا، فَتَنَازَعُوا، وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ فَقَالُوا: مَا لَهُ أَهَجَرَ، اسْتَفْهِمُوهُ، قَالَ ذَرُونِي، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ، فَأَمَرَهُم بِثَلاَثٍ فَقَالَ: أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ، وَالثَّالِثَةُ[٥] إِمَّا أَنْ سَكَتَ عَنْهَا، وَإِمَّا أَنْ قَالَهَا فَنَسِيتُهَا.

قَالَ سُفْيَانُ: هَذَا مِنْ قَوْلِ سُلَيْمَانَ[٦].

وَأَخْرَجَهُ فِي كِتَابِ الْغَزَوَاتِ فِي آخِرِهِ، فِي بَابِ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ.

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ بِنَصِّ مَتْنِ الْحَدِيثِ: مَا لَهُ أَهَجَرَ، اسْتَفْهِمُوهُ. وَلاَ خِلاَفَ بَيْنَهُمْ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هُوَ الْقَائِلُ:

---

(١) هو الإمام سفيان بن عيينة الحافظ المشهور، وأما الراوي عنه فهو محمد بن سلام البيكندي الحافظ من أشهر شيوخ الإمام البخاري. انظر فتح الباري (٣١٣/٦).

(٢) في الحاشية: هو سليمان بن أبي مسلم الأحول خال عبد الله بن أبي نجيح ثقة عدل حدث عنه الأئمة.

(٣) في الأصل: بكا بالألف الممدودة.

(٤) في الأصل: يا أبا عباس وفي الصحيح: يا ابن عباس.

(٥) في صحيح البخاري: والثالثة خير.

(٦) انظر الجامع الصحيح كتاب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب (٢١١/٤-٢١٢) الحدث رقم ١٠.

حَسْبُنَا كِتَابَ اللهِ: وَتَرْجَمَ عَلَيْهِ الْبُخَارِي: بَابُ كَرَاهِيَةِ الاِخْتِلاَفِ، وَقَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بن مُوسَى أَخْبَرَنَا هِشَامٌ[١] عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِي عَنْ عبد اللهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا حَضَرَ[٢] النَّبِيُّ ﷺ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ. قَالَ هَلُمَّ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبدًا. قَالَ عُمَرُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ، وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ، فَحَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرِّبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا، وَمِنْهُمْ مَنَ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ. فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَالاِخْتِلاَفَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُومُوا عَنِّي. قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَةَ كُلَّ الرَّزِيَةَ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَكُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلاَفِهِمْ وَلَغَطِهِمْ. وَهَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى إِخْرَاجِهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

ثُمَّ ذَكَرَهُ الْبُخَارِي بَعْدَ هَذَا الْحَدِيثِ مُتَّصِلًا بِهِ عَنْ عَلِيٍّ بن عبد اللهِ بن الْمَدِينِي[٣] قَالَ: حَدَّثَنَا عبد الرَّزَّاقِ[٤] قَالَ أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ عَنِ الزُّهْرِي بِالسَّنَدِ

---

(١) في الحاشية: هشام بن يوسف أبو عبد الله الصنعاني قاضيها: ثقة حافظ انتهي.
توفي عام ١٣٧هـ. انظر ترجمته في التاريخ لابن معين (٦١٩/٢-٦٢٠) وطبقات ابن سعد (٥٤٨/٧) وطبقات خليفة ت ٢٦٧٠ والتاريخ الكبير (١٩٤/٨) والجرح والتعديل (٧٠/٩) والكاشف (١٩٨/٣) وسير أعلام النبلاء (٥٨٠/٩).

(٢) في الحاشية: حُضر وما يصرف من ذلك كقولهم حضرت أبا فلان الوفاة. كل ذلك بمعنى حان موته. قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ سورة النساء ١٨.

(٣) هو الإمام الحافظ شيخ البخاري علي بن عبد الله بن جعفر المديني صاحب كتاب العلل المتوفى سنة ٢٣٤هـ قال شيخه ابن مهدي: علي ابن المديني أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ وخاصة بحديث ابن عيينة. انظر التاريخ الكبير (٢٨٤/٦) وتذكرة الحفاظ (٤٢٨/٢) والعبر (٤١٨/١) وسير أعلام النبلاء (٤٧/١١) وميزان الاعتدال (١٣٨/٣).

(٤) هو الإمام الحافظ الكبير عالم اليمن أبو بكر عبد الرزاق بن همام الحميري =

الْمَذْكُورِ آنِفًا، إِلاَّ أَنَّهُ أَسْقَطَ ذِكْرَ عُمَرٍ، وَكَنَّي عَنْهُ بِقَوْلِهِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ صِيَانَةً أَنْ تَصْدُرَ الْمُخَالَفَةُ مِنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا اللَّفْظُ فَقَوْلُهُمْ: مَا لَهُ أَهَجَرَ. هَكَذَا رَوَاهُ جُلُّ الرُّوَاةِ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: مَا شَأْنُهُ[1] أَهَجَرَ. كُلُّهُمْ بِلَفْظِ الاِسْتِفْهَامِ مِنْ رِوَايَةِ الْحُفَّاظِ الْعُدُولِ الأَثْبَاتِ. وَكَذَلِكَ فِي رِوَايَةِ سَعِيدِ بن مَنْصُورٍ، وَقُتَيْبَةَ بن سَعِيدٍ، وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَمْرِو النَّاقِدِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ وَغَيْرِهِ مِثْلَ مَا عِنْدَ الْبُخَارِي وَهُوَ أَرْفَعُ لِلإِشْكَالِ، وَأَقْرَبُ لِلصَّوَابِ، إِلاَّ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ عبد اللهِ بن أَحْمَدَ الْهَرَوِيِّ[2] رَوَاهُ فِي بَابِ جَوَائِزِ الْوَفْدِ هُجِرَ عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ. وَعِنْدَ غَيْرِهِ هَجَرَ عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِي، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ إِسْحَاقَ

= الصنعاني أخذ عن معمر فأكثر منه، والأوزاعي والثوري ومالك بن أنس وابن جريج وهشام بن حسان وغيرهم من الكبار، حدث عنه شيخه سفيان بن عيينة ومعتمر بن سليمان وأحمد بن حنبل وابن راهويه وابن معين وابن المديني وعبد بن حميد وعدد من المشهورين. توفي عام إحدى عشرة ومائتين. انظر ترجمته في تاريخ ابن معين (ص٣٦٢) وطبقات ابن سعد (٥/٥٤٨) وطبقات خليفة ترجمة ٢٦٧٣ والتاريخ الكبير (٦/١٣٠) والجرح والتعديل (٦/٥٦٤) وميزان الاعتدال (٢/٦٠٩) والبداية والنهاية (١٠/٢٦٥).

(١) في الحاشية: الشأن حيث وقع يهمز ولا يهمز، وهو الخطب والأمر، وجمعه شؤون.

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ عبد بن أحمد بن عبد الله بن عفير الأنصاري المالكي شيخ الحرم، يعرف بابن السماك، صنف «الصحيح» مخرجا على الصحيحين، ودلائل النبوة»، و«الدعاء» و«شمائل الرسول» و«معجم شيوخه» وغير ذلك. توفي في شوال سنة أربع وثلاثين وأربعمائة. انظر ترجمته في تاريخ بغداد (١١/١٤١)، والديباج المذهب (٢/١٣٢)، ونفح الطيب (٢/٧٠)، وسير أعلام النبلاء (١٧/٥٥٤)، وتذكرة الحفاظ (٣/١١٠٣٢)، والنجوم الزاهرة (٥/٣٦)، وطبقات المفسرين للداودي (١/٣٦٦)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص٤٢٥).

يَهْجُرُ، وَفِي رِوَايَةِ قَبِيصَةَ: أَهَجَرَ كَمَا رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ الأَئِمَّةُ الْحُفَّاظُ مِنْهُمْ حَافِظُ أَهْلِ زَمَانِهِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بن شِهَابِ الزُّهْرِي وَأَبُو مُحَمَّدٍ سُفْيَانُ بن عُيَيْنَةَ، وَهُوَ غَيْرُ مُدَافِعٍ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَحَافِظُ أَهْلِ زَمَانِهِ أَيْضًا أَبُو بَكْرٍ عبد اللهِ بن أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ قَدَّمْنَا ذِكْرَهُمْ، فَقَطَعْنَا بِرِوَايَتِهِمْ وَقَضَيْنَا بِإِسْقَاطِ رِوَايَةِ مَنْ خَالَفَهُمْ، فَإِنَّهُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى قَوْلِهِمْ: أَهَجَرَ اسْتَفْهَمُوهُ، وَهَذَا مِنْ أَقْطَعِ الْحُجَجِ وَأَثْبَتِهَا دَلِيلًا.

الْغَرِيبُ

قَوْلُهُمْ: أَهَجَرَ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْجِيمِ مَعْنَاهُ: هَذَا مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ الْوَضْعِي وَغَرِيبِهِ. وَأَمَّا الْمَعْنَى فَقَوْلٌ لاَ يَلِيقُ بِمَنْصِبِ النُّبُوَّةِ وَمَنْزِلَةِ الْعِصْمَةِ، اعْتِقَادُ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِثْلُ كَلاَمِ الْمَحْمُومِ وَالْمَرَسَّمِ وَالنَّائِمِ، يُقَالُ هَجَرْتُ أَهْجُرُ هَجْرًا، وَالْكَلاَمُ مَهْجُورٌ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلاَ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُوراً﴾[1] أَيْ قَالُوا فِيهِ غَيْرَ الْحَقِّ، هَذَا اسْتِفْهَامٌ عَنْ وُقُوعِ ذَلِكَ، لأَنَّهُ لَمْ يَهْجُرْ وَهُوَ بِمَعْنَى يَهْذِي إِذْ لاَ يَلِيقُ بِهِ الْهَذَيَانُ وَلاَ قَوْلٌ غَيْرُ مَضْبُوطٍ فِي حَالَةٍ مِنْ حَالاَتِهِ، وَإِنَّمَا جَمِيعُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ حَقٌّ وَصَحِيحٌ لاَ سَهْوَ فِيهِ وَلاَ خُلْفَ وَلاَ غَفْلَةَ وَلاَ غَلَطَ فِي حَالِ صِحَّةٍ وَمَرَضٍ وَنَوْمٍ وَيَقَظَةٍ وَرِضًا وَغَضَبٍ، فَنَحْتَاجُ أَنْ نَتَكَلَّمَ عَلَى مَحْمَلِ هَذَا اللَّفْظِ.

وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْهَمْزَةَ فِيهِ عَلَى طَرِيقِ الاِسْتِفْهَامِ كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رَجُلٍ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا[2]، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى:

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

(٢) في الحاشية: قال أبو إسحاق الحربي: حبا الصبي مشى على يديه، فُسِّرَ في الحديث «زحفا قال: على إسته مع إشرافه بصدره».هـ.

اِذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. قَالَ فَيَأْتِيهَا فَيُتَخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلًا فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلًا، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اِذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا. فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي أَوْ تَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ. الْحَدِيثُ بِطُولِهِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَلِلْحَدِيثِ طُرُقٌ.

وَقِيلَ الْهَمْزَةُ فِيهِ لِلنَّفْيِ بِمَعْنَى لاَ، أَيْ أَنَّكَ لاَ تَسْخَرُ بِي وَلاَ يَلِيقُ بِكَ وَأَنْتَ الْمَلِكُ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾[1] أَيْ إِنَّكَ لاَ تَفْعَلُ ذَلِكَ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ أَهَجَرَ، أَيْ أَنَّهُ لاَ يَهْجُرُ وَلاَ يَلِيقُ بِهِ.

وَقِيلَ لِلإِنْكَارِ وَالْحَجْرِ كَقَوْلِ جَابِرِ بن عبد اللهِ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَابْنِ صَاحِبِهِ أَنَّهُ سُئِلَ: أَيَرْفَعُ الرَّجُلُ يَدَيْهِ إِذَا رَأَى الْبَيْتَ فَقَالَ: حَجَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَفَكُنَّا نَفْعَلُهُ[2]. وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ عَلَى الثَّلاَثَةِ الأَقْوَالِ:

أَمَّا الأَوَّلُ وَهُوَ حَمْلُهُ عَلَى الاِسْتِفْهَامِ جَرْيًا عَلَى ظَاهِرِهِ فِي اللَّفْظِ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَفْظُ الاِسْتِفْهَامِ وَمَعْنَاهُ عَلَى خِلاَفِ ظَاهِرِهِ كَمَا يُطْلَقُ الاِسْتِفْهَامُ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَمَوَاضِعَ مِنَ الشِّعْرِ، وَمَوَاضِعَ مِنَ اللَّفْظِ، وَلَيْسَتْ عَلَى مَعْنَى الاِسْتِفْهَامِ، وَكَيْفَ وَالاِسْتِفْهَامُ مِنَ اللهِ تَعَالَى لاَ يَصِحُّ لِعِلْمِهِ السَّابِقِ الْقَدِيمِ الْمُتَعَلِّقِ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ، فَلاَ يَصِحُّ مِنْهُ اسْتِفْهَامُ شَيْءٍ، لأَنَّهُ لاَ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ وَهُوَ دَاخِلٌ فِي عِلْمِهِ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٥، وأما بالفاء أي «أفتهلكنا» ففي الآية ١٧٣ من سورة الأعراف أيضا في قوله تعالى: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، كتاب الحج باب ما جاء في كراهية رفع اليدين عند رؤية البيت، رقم الحديث ٨٥٥ (٣/٢١٠)، لكن فيه «حججنا مع رسول الله ﷺ فكنا نفعله».

فَالاِسْتِفْهَامُ حَيْثُ وَقَعَ مِنْهُ تَعَالَى - وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ الاِسْتِفْهَامُ - فَهُوَ لَيْسَ بِمَعْنَى الاِسْتِفْهَامِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ فَإِنَّمَا اسْتِفْهَامُهُ تَقْرِيعٌ لاَ اسْتِعْلاَمٌ. كَذَلِكَ هَا هُنَا يَكُونُ لَفْظُهُ لَفْظُ الاِسْتِفْهَامِ وَمَعْنَاهُ غَيْرَ الاِسْتِفْهَامِ لأَنَّ عِصْمَةَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُمْ كَانَتْ مَعْلُومَةً، وَهُمْ صَحَابَتُهُ وَالذَّابُّونَ عَنْهُ وَالْعَالِمُونَ بِحَالِهِ وَالْمُبَاشِرُونَ لِمُعْجِزَاتِهِ وَالْمُشَاهِدُونَ لِعِنَايَةِ اللهِ بِهِ، فَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ اعْتِقَادُ الاِسْتِفْهَامِ فِي هَجْرِهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهُ لاَ يَهْجُرُ، وَهَذَا قَاطِعٌ لاَ عُذْرَ فِيهِ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ غَيْرَ الاِسْتِفْهَامِ.

هَذَا مُعْتَقَدُنَا فِيهِمْ، وَلَوْ أَسَأْنَا بِهِمُ الظَّنَّ لَبَطَلَتِ الشَّرِيعَةُ الْمَنْقُولَةُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَوْ بَطَلَتْ لَبَطَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[1] بَلْ ظَهَرَ وَرَوَوْهُ وَاشْتَهَرَ، وَعَادَ كَالشَّمْسِ لاَ كَضَوْءِ الْقَمَرِ.

وَأَمَّا الْقَوْلُ الثَّانِي: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ النَّفْيَ فَهُوَ حَسَنٌ، وَأَظْهَرُ مِنْ أَنْ يُبَيَّنَ فَإِنَّ النَّفْيَ بِهَذَا اللَّفْظِ قَدْ وَرَدَ فِي مَوَاضِعَ وَصَحَّ فِي مَوَاطِنَ مِنَ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ، وَنَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ الْكَرِيمِ كَمَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلاَ (أَفَتُهْلِكُنَا...) وَهُوَ بِمَعْنَى: لاَ تُهْلِكُنَا[2]، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ فِي مَسْأَلَتِنا كَذَلِكَ مِنَ النَّفْيِ الَّذِي فِي مَعْنَى أَفَتُهْلِكُنَا أَيْ: لاَ يَهْجُرُ، أَوْ هَجَرَ لاسْتِحَالَةِ ذَلِكَ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْقَوْلُ الثَّالِثُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الإِنْكَارَ وَالْهَجْرَ، فَهُوَ أَيْضًا بَيِّنٌ، وَيَتَأَكَّدُ ذَلِكَ بِوَجْهَيْنِ آخَرَيْنِ عَوَّلْتُ عَلَى اسْتِنْبَاطِهِمَا.

---

(١) قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ورد في سورة التوبة الآية ٣٣ وورد أيضا في الآية ٢٨ من سورة الفتح، وفي الآية ٩ من سورة الصف.

(٢) قال ابن عطية: لاثم استفهم على جهة الرغبة والتضرع والتذلل. (المحرر الوجيز ١٧٣/٧ طبعة وزارة الأوقاف المغربية).

أَحَدُهُمَا أَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يَغْشَوْنَ مَجْلِسَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَلَّ مَا يَخْلُو مَجْلِسُهُ مِنْهُمْ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ حَاضِرًا فَكَانَ خِطَابُ الصَّحَابَةِ لِذَلِكَ الْحَاضِرِ، فَقَالُوا لَهُ مَا لَهُ، أَهَجَرَ عَلَى طَرِيقِ الاِسْتِفْهَامِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْرِيرُ[1] وَالإِنْكَارُ لِمَنْ ظَنَّ ذَلِكَ، كَمَا يَقُولُ الإِنْسَانُ لِمَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِ فِعْلُهُ. فَيَكُونُ الْمُرَادُ ذَلِكَ الْمُنَافِقَ الْحَاضِرَ، وَلَيْسَ يَكُونُ ذَلِكَ لاعْتِقَادِهِمْ الْهَجْرَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِيُ: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: مَا لَهُ، أَهَجَرَ، أَيْ نَحْنُ لاَ نَعْتَقِدُ الْهَجْرَ عَلَيْهِ فَلَمْ نَمْنَعْ مِنْ كِتَابِهِ أَوْ خِطَابِهِ، كَمَا تَقُولُ لِمَنْ تُخَاطِبُهُ: مَا لَكَ، أَتَفْعَلُ كَذَا أَوْ أَتَقُولُ كَذَا، عَلَى مَعْنَى إِنَّكَ لاَ تَقُولُ بِذَلِكَ، وَلاَ ذَلِكَ الْمُخَاطَبُ. وَهَذَا الْوَجْهُ يَكُونُ رَاجِحًا فِيمَا بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ خِطَابًا لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا مَعَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى اسْتِحَالَةِ الْهُجْرِ عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُمْ لَمَّا كَثُرَ اخْتِلاَفُهُمْ أَنْكَرَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَقَالُوا: مَا لَهُ، أَهَجَرَ، أَيْ لِمَ تُنْكِرُونَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَهُوَ لاَ يَهْجُرُ أَصْلًا.

وَهَذَانِ الْوَجْهَانِ يُؤَكِّدَانَ مَا سَبَقَ مِنَ الأَقْوَالِ، وَهُمَا أَحْسَنُ مَا نَعْتَمِدُهُ مِنَ الاِحْتِمَالِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا تَعْمَلُونَ فِي قَوْلِهِمْ: اِسْتَفْهَمُوهُ، فَإِنَّهُ نَصَّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى شَكٍّ فِي ذَلِكَ، وَلاَ يَكُونُ الشَّكُّ إِلاَّ مَعَ جَوَازِ أَنَّهُمْ يُجِيزُونَ عَلَيْهِ الْهَجْرَ، وَهُوَ الَّذِي أَرَدْنَاهُ؟ قُلْنَا: الْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُمْ اِسْتَفْهَمُوهُ يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ.

---

(١) في الحاشية: التوبيخ.

أَحَدُهُمَا يَعُودُ عَلَى الْوَجْهِ الأَوَّلِ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ خِطَابِ الْمُنَافِقِ الَّذِي قَدَّرْنَاهُ مُخَاطَبًا بِقَوْلِهِمْ: مَا لَهُ، أَهَجَرَ، أَيْ مَا لَهُ عِنْدَكُمْ يَا مُنَافِقِينَ أَهَجَرَ اسْتَفْهِمُوهُ، أَيْ اسْتَفْهِمُوهُ تَجِدُوهُ لَمْ يَهْجُرْ، وَهَذَا أَحْسَنُ شَيْءٍ فِي التَّقْدِيرِ.

وَالأَمْرُ الثَّانِي يَعُودُ عَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي مِنْ خِطَابِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ لِبَعْضِهِمْ فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: نَحْنُ كُلُّنَا عَالِمُونَ بِأَنَّهُ لاَ يَهْجَرُ، فَلَمْ يَمْنَعْ بَعْضُنَا بَعْضًا مِنْ كِتَابِهِ أَوْ خِطَابِهِ، اسْتَفْهِمُوهُ تَجِدُوهُ لَمْ يَهْجُرْ كَمَا نَحْنُ نَعْلَمُ مِنْ حَالِهِ ذَلِكَ، فَنَحْنُ جَمِيعًا عَلَى هَذَا فَلاَ شَكَّ إِذًا عَلَى أَحَدِ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ، وَهَذَا أَحْسَنُ تَقْدِيرٍ وَكِلاَهُمَا مُمْكِنٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

❊ ❊ ❊ ❊

فَصْلٌ

أَمَّا الرِّوَايَةُ الْمُنْفَرِدَةُ[١] وَهِيَ رِوَايَةُ هَجَرَ عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِي فَقَدْ سَقَطَتْ بِاجْتِمَاعِ الْحُفَّاظِ عَلَى خِلافِهَا، وَيَدُ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ. وَقَدْ تَأَوَّلَهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى الْوَجْهِ الأَوَّلِ السَّابِقِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ قَائِلِهِ دَهشًا مِنْ عِظَمِ مَا شَاهَدَ مِنْ حَالِ النَّبِيِّ ﷺ، وَشِدَّةِ وَجَعِهِ، وَالْوَصِيَّةِ وَالاِسْتِخْلاَفِ مِنْ بَعْدِهِ، وَقَدْ يَدْهَشُ الإِنْسَانُ فِي مَوْضِعَيْنِ: مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَمِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ، فَكَانَ يَنْضَبِطُ كَلاَمُهُ وَلاَ يَثْقِفُهُ فَتَصْدُرُ مِنْهُ أَلْفَاظٌ لاَ تَكُونُ مِنْ مُرَادِهِ، وَلِهَذَا نَظَائِرُ مِنْ صَحِيحِ الأَخْبَارِ مِنْهَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ إِسْحَاقَ بن عبد اللهِ بن أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلاَةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»[٢].

---

(١) في الحاشية: بلغت مقابلته بأصل المؤلف.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب التوبة من صحيحه باب في الحض على التوبة والفرح بها رقم الحديث ٢٧٤٧ (٤/٢١٠٤). وأخرج الشيخان هذا الحديث بلفظ آخر من رواية عبد الله بن مسعود، فأما البخاري ففي كتاب الدعوات باب التوبة وقال =

قَوْلُهُ: للهُ: اللاَّمُ لاَمُ الابْتِدَاءِ، كَقَوْلِهِمْ لَزَيْدٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمْرٍو.

وَقَوْلُهُ: أَفْرَحُ: هَا هُنَا أَيْ أَرْضَى، لأَنَّ الرِّضَا مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ الْفَرَحُ هُنَا وَهُوَ السُّرُورُ وَانْبِسَاطُ النَّفْسِ، لأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهُوَ جَلَّ وَعَلاَ مُنَزَّهٌ عَنِ السُّرُورِ وَالْحُزْنِ. وَالْفَرَحُ فِي كَلاَمِ الْعَرَبِ عَلَى وُجُوهٍ مِنْهَا: الْفَرَحُ بِمَعْنَى السُّرُورِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلاَّ وَعَلاَ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا﴾[1] أَيْ سَرُّوا بِهَا، هَذَا الْمَعْنَي لاَ يَلِيقُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ، لأَنَّهُ يَقْتَضِي الشَّهْوَةَ وَالْحَاجَةَ إِلَيْهِ وَنَيْلِ الْمَنْفَعَةِ بِهِ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ.

وَمِنْهَا الْفَرَحُ بِمَعْنَى الْبَطَرِ وَالأَشَرِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[2] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[4] يَعْنِي بِذَلِكَ فَرَحَ الْبَطَرِ وَالأَشَرِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي ... وَلاَ جَزِعٌ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ[5]

= قتادة: توبوا إلى الله توبة نصوحا: الصادقة الصحيحة (٨/٢١٢). وأما مسلم ففي كتاب التوبة باب الحض على التوبة والفرح بها الحديث رقم ٢٧٤٤. وأخرج نحوه أيضا في الموضع نفسه عن النعمان بن بشير، والبراء بن عازب.

(١) سورة يونس، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧٦.

(٤) سورة هود، الآية: ١٠.

(٥) البيت لهدبة بن خشرم، وهو شاعر أموي، من أبيات ثلاثة قالها وهو يساق إلى =

وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الرِّضَا، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[١] أَيْ رَاضُونَ. وَلَمَّا كَانَ مَنْ سُرَّ بِالشَّيْءِ فَقَدْ رَضِيَهُ، قِيلَ إِنَّهُ بِهِ فَرِحٌ عَلَى مَعْنَى إِنَّهُ بِهِ رَاضٍ.

وَقَوْلُهُ أَيِسَ: يُقَالُ: أَيِسَ وَيَئِسَ لُغَتَانِ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ فِي مَرَضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَارُوا أَوْ طَاشَتْ عُقُولُهُمْ. وَأَمَّا يَوْمَ مَوْتِهِ فَاخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ، فَأُقْعِدَ عَلِيٌّ، وَخَرِسَ عُثْمَانُ، وَخَبَلَ عُمَرُ وَجَعَلَ يَقُولُ: وَاللهَ مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، عَلَى مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ، قَالَتْ عَائِشَةُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِي: وَقَالَ عُمَرُ وَاللهِ مَا كَانَ يَقَعَ فِي نَفْسِي إِلاَّ ذَلِكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ - الْحَدِيثُ بِطُولِهِ - فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ وَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُذِيقَنَّكَ اللهُ الْمَوْتَتَيْنِ أَبَدًا. ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: أَلاَ مَنْ كَانَ يَعبد مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعبد اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٢]. وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٣].

= الموت في قصة طويلة رواها المبرد في الكامل ١٤٥٥ ط الرسالة. والأبيات في الحماسة البصرية (١١٥/١) والعقد الفريد (١٥/٣).

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣. سورة الروم، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

قَالَ: «فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِي فِي صَحِيحِهِ[١]، وَفِي رِوَايَةٍ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِي[٢]: قَالَ الزُّهْرِي: وَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بن الْمُسَيِّبُ أَنَّ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ قَالَ: وَاللهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ تَلاَهَا أَبُو بَكْرٍ - يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ الآية - عَقَرْتُ وَأَنَا قَائِمٌ حَتَّى خَرَرْتُ إِلَى الأَرْضِ، وَأَيْقَتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ مَاتَ.

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: يُقَالَ عَقَرَ الرَّجُلُ بِالْقَافِ إِذَا سَقَطَ إِلَى الأَرْضِ مِنْ قَامَتِهِ، وَرَوَاهُ يَعْقُوبُ بِالْفَاءِ، كَأَنَّهُ مِنَ الْعَفَرِ وَهُوَ التُّرَابُ. وَصَوَّبَ ابْنُ كَيْسَان الرِّوَايَتَيْنِ.

وَقَوْلُهُ عَلَى رَسْلِكَ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَكَسْرِهَا، فَمَعْنَى الْفَتْحُ: اللِّينُ، وَمَعْنَى الْكَسْرُ: التُّؤْدَةُ. وَبِكَسْرِ الرَّاءِ: اللِّينُ خَاصَّة.

وَقَوْلُهُ: فَنَشَجَ النَّاسَ: صَوْتٌ مَعَهُ تَرْدِيدٌ كَمَا يُرَدِّدُ الصَّبِيُّ بُكَاءَهُ فِي صَدْرِهِ، وَهُوَ بُكَاءٌ فِيهِ تَحْزِينٌ.

* * * *

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب أبواب فضائل أبي بكر الحديث ١٦٧ (٥/٧٠-٧١).

(٢) صحيح البخاري كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته وقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ...﴾ الحديث ٤٣٩ (٦/٣٦-٣٧).

فَصْلٌ

وَأَمَّا الْكِتَابُ الذِي أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَهُ ﷺ فَقِيلَ أَرَادَ بِهِ الْخِلاَفَةَ بِدَلِيلِ مَا ثَبَتَ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِهِ - وَهِيَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِ وَهِيَ الَّتِي مَرَّضَتْهُ وَتَوَلَّتْهُ فِي بَيْتِهَا - قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ، وَيَقُولُ قَائِلٌ أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمُ فِي صَحِيحِهِ فِي فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِي فِي بَابِ الاِسْتِخْلاَفِ فِي الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ فِي قَوْلِهِ ﷺ لِعَائِشَةَ: بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ وَأَعْهَدُ، أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللهُ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ أَوْ يَدْفَعُ اللهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ. وَكِلاَ الْحَدِيثَيْنِ لاَ مَطْعَنَ فِيهِمَا عِنْدَ أَهْلِ النَّقْدِ فِي النَّقْلِ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ أَنْ أَرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَوْ آتِيهِ وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ تَصْحِيفٌ، وَهُوَ الَّذِي رَوَى أَيْضًا: هَجَرَ، وَالْحُفَّاظُ عَلَى خِلاَفِهَا لأَنَّ إِتْيَانَهُ أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالَ مِنْ شِدَّةِ الْمَرَضِ يَبْعُدُ، وَإِنَّمَا هُوَ: إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ كَمَا قَيَّدَهُ الْحُفَّاظُ. وَيَكُونُ فَائِدَةُ إِحْضَارِ عبد الرَّحْمَنِ ابْنِهِ أَنْ يَكْتُبَ الْكِتَابَ، أَوْ يَكُونَ هُوَ وَأَبُوهُ شَاهِدَيْنِ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَخْلِفَ مَنْ شَاءَ لِمَا صَحَّ عَنْ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ مِنْ جَمِيعِ الطُّرُقِ عَنْ عبد اللهِ بن عُمَرَ قَالَ: قِيلَ لِعُمَرَ أَلاَ تَسْتَخْلِفُ؟ قَالَ: إِنْ

أَسْتَخْلِفْ فَقَدَ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ، وَإِنْ أَتْرُكْ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْنِي أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْتَخْلِفْ نَصًّا وَتَصْرِيحًا بَلْ إِشَارَةً وَتَلْوِيحًا.

وَأَخْرَجَا فِي الصَّحِيحَيْنِ حَدِيثَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَيْئًا فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ - قَالَ جُبَيْرُ بن مُطْعِمٍ كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ - قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَآتِي أَبَا بَكْرٍ[١].

قَالَ الشَّافِعِي: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى خِلاَفَةِ أَبِي بَكْرٍ، حَكَاهُ عَنِ الشَّافِعِي الإِمَامُ أَبُو عُمَرَ بن عبد الْبَرِّ فِي كِتَابِ التَّمْهِيدِ، وَعِنْدِي مِنْهُ أَصْلُ مُؤَلِّفِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. فَلَمْ يَسْتَخْلِفْ عُمَرُ أَحَدًا وَجَعَلَهَا شُورَى بَيْنَ السِّتَّةِ الَّذِينَ مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ[٢]. وَأَيْضًا فَإِنَّ الصِّدِّيقَ لَوْ كَانَ عِنْدَهُ نَصٌّ لَمَا طَلَبَهَا لِغَيْرِهِ فَقَالَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ لِلأَنْصَارِ مَا هَذَا نَصُّهُ: نَحْنُ الأُمَرَاءَ وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءَ، فَقَالَ حَبَّابُ بن الْمُنْذِرِ: لاَ وَاللهِ لاَ تَفْعَلْ، مِنَّا أَمِيرٌ

---

(١) الحديث في الصحيحين، في كتاب المناقب من صحيح البخاري أبواب فضائل أبي بكر الصديق رقم الحديث ١٥٩ (٦٧/٥)، وفي كتاب فضائل الصحابة من صحيح مسلم باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه الحديث رقم ٢٣٨٦ (١٨٥٦/٤-١٨٥٧).

(٢) الستة هم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن الزبير، والزبير، وعبد الرحمن ابن عوف، وسعد، قال عمر بعد أن سمي الستة: يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شيء، فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله من عجز، ولا خيانة...
انظر صحيح البخاري كتاب المناقب باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان... رقم الحديث ١٩٦ (٨٤/٥-٨٥).
وانظر أيضا كتاب منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١٦٨/٣-١٧٢).

وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَلَكِنَّا الأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ. هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا، فَبَايِعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ. فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ، وَلِلْحَدِيثِ طُرُقٌ بِأَلْفَاظٍ وَزِيَادَاتٍ كُلُّهَا صَحِيحَةٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ النَّقْلِ[1].

* * * *

(١) انظر صحيح البخاري كتاب المناقب أبواب أبي بكر الحديث رقم ١٦٧ (٥/٧٠-٧١).

فَصْلٌ

وَلاَ خِلاَفَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَدَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الصَّلاَةِ وَهِيَ عِظَمُ الدِّينِ وَكَانَتْ إِلَيْهِ ﷺ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهَا أَحَدٌ بِحَضْرَتِهِ، فَلَمَّا مَرِضَ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا أَبَا بَكْرٍ، وَالصَّحَابَةُ الْعُظَمَاءُ حُضُورٌ مِنْهُمْ عُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَنَصَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَسْنَدَ هَذَا الأَمْرَ الْعَظِيمَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الصَّحِيحِ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ[١]، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ[٢]، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ قُولِي لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ[٣]، فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ[٤]، فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا. هَذَا نَصُّ الْمُوَطَّأِ[٥]، وَهُوَ حَدِيثٌ مُجْمَعٌ عَلَى صِحَّتِهِ مُخْرَجٌ فِي

(١) هكذا في الأصل، وهو أيضا رواية مالك في الموطأ، وفي صحيح البخاري برواية الكشميهني، انظر فتح الباري (١٨٠/٢) و(ص١٩٤).

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) ورد الحديث في كتاب قصر الصلاة رقم ٨٨ (١٧٠/١-١٧١).

الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا[١]. وَإِنَّمَا كَرِهَتْ عَائِشَةُ إِمَامَةَ أَبِيهَا فِيمَا ثَبَتَ بِاتِّفَاقٍ عَنْهَا أَنْ يَتَشَاءَمَ النَّاسُ بِأَوَّلِ مَنْ يَقُومَ فِي مَقَامِ رَسُولِ اللهِ فَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمْ يُرَ إِمَامًا إِلاَّ فِي مَرَضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحِينَ مَوْتِهِ فَقَالَتْ مَا قَالَتْ، فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَلِكَ عَلَيْهَا وَعَلَى حَفْصَةَ وَقَالَ إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، يُرِيدُ أَنَّكُنَّ فِتْنَةٌ، قَدْ فَتَنْتُنَّ يُوسُفَ وَصَدَدْتُنَّهُ عَنِ الْحَقِّ قَدِيمًا، يُرِيدُ النِّسَاءَ وَيَعْنِيهِمْ بِذَلِكَ، وَهَذَا كَلاَمٌ خَرَجَ عَلَى غَضَبٍ لاعْتِرَاضِهِنَّ لَهُ وَهُنَّ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ وَخَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَكَذَا قَوْلُ حَفْصَةَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: مَا كُنْتُ لأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا، عَلَى جِهَةِ الْغَضَبِ عَلَيْهَا لأَنَّهَا عَرَّضَتْهَا لِمَا كَرِهَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا مِنَ الْقَوْلِ بِتَقْدِيمِ عُمَرَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَلَقِيَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لاَ يَسُرُّهَا مِنْ إِنْكَارِهِ عَلَيْهَا وَانْتِهَارُهَا، فَرَجَعَتْ تَلُومُ عَائِشَةَ إِذْ كَانَتْ سَبَبُ ذَلِكَ.

فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ بِالنَّاسِ مُدَّةَ مَرَضِ رَسُولِ اللهِ وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي مُدَّةِ مَرَضِهِ فَقِيلَ كَانَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَقِيلَ ثَلاثَةَ عَشَرَ وَقِيلَ اثْنَي عَشَرَ يَوْمًا، ابْتَدَأَهُ صُدَاعُ وَتَمَادَى بِهِ.

---

(١) أما البخاري فأخرجه في كتاب الأذان من صحيحه باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة رقم ٦٩ (١/٢٧٣).

وفي باب حد المريض أن يشهد الجماعة وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يكره من التعمق والتنازع (٩/١٧٦).

وأما مسلم ففي كتاب الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض أو سفر من يصلي بالناس... رقم الحديث ٤١٨ وما بعده (١/٣١١-٣١٤).

وأخرجه أيضا الإمام الترمذي في كتاب المناقب باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما رقم الحديث ٣٦٧٢ (٥/٥٧٣).

وَلاَ خِلاَفَ أَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ بِالنَّاسِ مِنَ الصَّحَابَةِ سِوَاهُ وَأَنَّهُ كَانَ خَلِيفَتَهُ ﷺ عَلَيْهَا، وَبِذَلِكَ كَانَ يَكْتُبُ: مِنْ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِلاَّ مَا حَكَى ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بن سَعْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بن إِسْحَاقَ بِسَنَدِهِ إِلَى عبد اللهِ بن زَمْعَةَ بن الأَسْوَدِ قَالَ: قُلْتُ لِعُمَرَ صَلِّ بِالنَّاسِ - وَأَبُو بَكْرٍ غَائِبٌ فِي مَرَضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ - فَلَمَا كَبَّرَ سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَوْتَهُ فَقَالَ: وَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ، يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ، يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ، مَرَّتَيْنِ، فَبعثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَجَاءَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى عُمَرُ تِلْكَ الصَّلاَةِ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ ذُو النَّسَبَيْنِ عَفَا اللهُ عَنْهُ: وَابْنَ إِسْحَاقَ صَاحِبُ السِّيرَةِ قَدْ كَذَّبَهُ هِشَامُ ابْنُ عُرْوَةَ، وَإِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ مَالِكُ بن أَنَسٍ وَغَيْرُهُمَا[١]، فَسَقَطَ قَوْلُهُ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُخَرِّجْ هَذَا الْحَدِيثَ أَهْلُ الصَّحِيحِ.

---

(١) كان ابن إسحاق عالما بأخبار النبي صلى اله عليه وسلم وصحابته، وقد امتدحه شيخه الإمام ابن شهاب الزهري فقال وقد سئل عن مغازيه: «هذا أعلم الناس بها» سير أعلام النبلاء (٣٦/٧) وعيون الأثر (٨/١) وقال الإمام الشافعي: «من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق» سير أعلام النبلاء (٣٦/٧) وعيون الأثر (٩/١) وقال الذهبي «قد كان في المغازي علامة» سير أعلام النبلاء (٣٧/٧). وأما في الحديث فكان صدوقا احتج به عدد من العلماء النقاد بروايته، فقد قال الإمام علي بن المديني: «حديثه عندي صحيح لم أجد له إلا حديثين منكرين» المغني في الضعفاء (٥٥٣/٢). وقال البخاري «رأيت علي بن عبد الله يحتج بحديث ابن إسحاق وذكر عن سفيان أنه ما رأى أحدا يتهمه» المغني في الضعفاء (٣٩/٧) وعيون الأثر (٩/١). وقال أبو زرعة الدمشقي «ابن إسحاق رجل قد اجتمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه منهم: سفيان وشعبة وابن عيينة والحمادان وابن المبارك وإبراهيم بن سعد، وروى عنه من القدماء: يزيد بن أبي حبيب. وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقا وخيرا مع مدح ابن شهاب له، وقد ذاكرت دحيما قول مالك، فرأى أن ذلك ليس للحديث، إنما هو لأنه اتهم بالقدر» المغني في الضعفاء (٤٢/٧) وعيون الأثر (٩/١). =

= وما أقوى توثيق شعبة بن الحجاج له إذ قال «محمد بن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث» المغني في الضعفاء (٤٢/٧) وعيون الأثر (٩/١). وهذه أكبر شهادة من ناقد كبير إمام في الجرح والتعديل غير متساهل فيه، ولا متسامح مع الضعفاء والمجروحين.
وقد كان محمد بن إسحاق كثير الحديث، فقد كان عند أبي إسحاق إبراهيم بن سعد المدني عن محمد بن إسحاق نحو من سبعة عشر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي» تذكرة الحفاظ (٢٥٣/١)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص١٠٨) رواها البخاري عنه.
وأما ما قيل في ابن إسحاق من تجريح فأقواه ما نقل عن الإمام مالك رحمه الله، فقد نال منه وقال: «إنه دجال من الدجاجلة» وكذلك تكلم ابن إسحاق في مالك وجرحه وانتقص من كتابه الموطأ.
وعد العلماء كلام بعضهما في بعض من قبيل جرح الأقران الذي لا يقبل إلا ببينة وحجة لما وراءه من التحاسد والتنافر، قال الذهبي رحمه الله: «قلت لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغل النادر، ولا من الكلام بنفس حاد فيمن بينهم وبينه شحناء وإحنة، وقد علم أن كثيرا من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به، ولاسيما إذا وثق الرجل جماعة يلوح على قولهم الإنصاف، وهذان الرجلان كل منهما قد نال من صاحبه، لكن أثر كلام مالك في محمد بعض اللين، ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة، وارتفع مالك، وصار كالنجم، والآخر، فله ارتفاع بحسبه، ولاسيما في السير، وأما في أحاديث الأحكام فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن، إلا فيما شذ فيه، فإنه يعد منكرا، وهذا الذي عندي في حاله والله أعلم" (سير أعلام النبلاء (٤٠/٧-٤١).
هذا كلام أظنه فاصلا في الموضوع ومبينا مكانة الرجل وقيمة سيرته ودخول حديثه في دائرة المقبول. ولهذا الكلام سند نجده عند ابن عدي قديما، فقد قال منوها بمحمد ابن إسحاق وسيرته وسائر مروياته: «ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء إلى الاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ومبعثه ومبتدأ الخلق، لكانت هذه فضيلة سبق بها، ثم من بعده صنفها قوم آخرون فلم يبلغوا مبلغ ابن إسحاق منها، وقد فتشت أحاديثه كثيرا فلم أجد من أحاديثه ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ، أو يهم في الشيء بعد الشيء، كما يخطئ غيره، ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة، وهو لا بأس به» سير أعلام النبلاء (٤٨/٧).=

وَكَانَ رُجُوعُ الأَنْصَارِ يَوْمَ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ بِكَلاَمٍ قَالَهُ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ: نَشَدْتُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يُزِيلَهُ عَنْ مَقَامٍ أَقَامَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: كُلُّنَا لاَ تَطِيبُ نَفْسُهُ وَنَسْتَغْفِرُ اللهَ. خَرَّجَهُ الإِمَامُ أَبُو عُمَرَ بن عبد الْبَرِّ فِي كِتَابِ الاِسْتِيعَابِ عَنْ عبد اللهِ بن مَسْعُودٍ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي بَكْرٍ مِنْ حَرْفِ الْعِينِ.

فَالصَّلاَةُ عَلَمُ الدِّينِ، وَبِهَا قِوَامُهُ. وَعَرَفَ الصَّحَابَةُ ذَلِكَ مِنْ غَرَضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ فَخِيرَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَنَفَعَهُمُ اللهُ بِهِ، فَقَاتَلَ أَهْلَ الرِّدَّةِ، وَقَاتَلَ مُسَيْلِمَةَ وَأَصْحَابَهُ وَهُمْ أُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ فَقَتَلَهُ وَحَصَدَ شَوْكَتَهُمْ، وَسَبَى حَرِيمَهُمْ وَذُرِّيَتَهُمْ، وَعَدَلَ فِي الرَّعِيَّةِ، وَقَسَمَ بِالسَّوِيَّةِ، وَسَارَ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ حَمِيدًا وَأَقَامَ بِهِ الدِّينَ، وَأَعَزَّ بِهِ الْمُهْتَدِينَ.

وَأَمَّا قَوْلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ[1]، أَيْ

= ولا ينكر أحد أن سيرة ابن إسحاق من أشهر السير على الإطلاق وعليها عول من ألف في هذا الشأن قال ابن سيد الناس: «وعمدتنا فيما نورده من ذلك على محمد بن إسحاق إذ هو العمدة في هذا الباب لنا ولغيرنا...» عيون الأثر (١/٧) وقد قال صدقا، فما يكاد يخلو كتاب من كتب السير والمغازي والشمائل والدلائل وتراجم الصحابة من نقول من سيرة ابن إسحاق، يسوق ابن إسحاق الأحاديث والأخبار المتعلقة بالنبي ﷺ من المبعث إلى الهجرة وبناء دولة المسلمين بالمدينة وما صاحبها من أحداث كالغزوات وغيرها بالأسانيد، وقد يتفرد بأخبار لا يرويها غيره كتفرده برواية المعاهدة التي كتبها النبي ﷺ بينه وبين اليهود في المدينة.

(١) الجامع الصحيح كتاب العلم باب كتابه العلم الحديث ٥٥ ج ١ (ص٦٥-٦٦. ولا يفهمن أحد من قول عمر: «حسبنا كتاب الله أنه إسقاط للسنة وإلغاء لما أتت به من =

كَافِينَا كِتَابَ اللهِ، وَقَدْ انْتَقَدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَقَالُوا: كَيْفَ يَـرُدُّهُم عَـنْ كِتَـابِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ وَهُـوَ الْمُبَيِّنُ لِكِتَـابِ اللهِ تَعَـالَى، وَهُـوَ الشَّارِعُ. وَأَكَّدُوهُ بِقَوْلِ حَبْرِ الْقُرْآنِ عبد اللهِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةَ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُـمْ ذَلِـكَ الْكِتَـابِ مِـنِ اخْتِلاَفِهِمْ وَلَغَطِهِمْ(١)، واللَّغَطُ اخْتِلاَطُ الأَصْوَاتِ وَالكَّلاَمِ حَتَّى لاَ يُفْهَمَ.

وَالْجَوَابُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ فِي حَجَّتِهِ الَّتِي مَاتَ بَعْدَهَا مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ قَالَ مَا هَذَا نَصُّهُ عَنْ زَيْدِ بن أَرْقَمَ - وَكَانَ مِنْ فُضَلاَءِ الصَّحَابَةِ قَالَ: «قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَادٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ يُدْعَى خُمًّا فَخَطَبَنَا ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَوْشَكَ أَنْ أُدْعَى فَأَجِيبُ، أَلاَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا كِتَابَ اللهِ حَبْلُ اللهِ مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى الضَّلاَلَةِ، ثُمَّ قَالَ: أَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ. فَيَكُونُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ، إِلَى هَذِهِ

= أحكام وتوجيهات، قال الإمام النووي: اتفق العلماء على أن قول عمر «حسبنا كتاب الله» من قوة فقهه ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب أمورا ربما عجزوا عنها فاستحقوا العقوبة لكونها منصوصة، وأراد أن لا ينسد باب الاجتهاد على العلماء، وفي تركه ﷺ الإنكار على عمر إشارة إلى تصويب رأيه، وأشار بقوله «حسبنا كتاب الله» إلى قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾. ويحتمل أن يكون قصد التخفيف عن رسول الله ﷺ لما رأى ما هو فيه من شدة الكرب، وقامت عنده قرينة بأن الذي أراد كتابته ليس مما لا يستغنون عنه، إذ لو كان من هذا القبيل لم يتركه ﷺ لأجل اختلافهم...» فتح الباري (٧٤٠/٧).

(١) في رواية متفق عليها في الصحيحين بيان لما كان من اللغط: واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر.

الْوَصِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ سَبَقَتْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي اتِّبَاعِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، لأَنَّهَا آخِرُ وَصِيَّةٍ. وَكَانَ عُمَرُ حَاضِرُهَا.

ثُمَّ مَعْنَى آخِرُ يُعْتَضَدُ بِهِ هَذَا الْمَعْنَى، وَهُوَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ أَشْفَقَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَنْ يَتْعَبَ فِي تَكْلِيفِ كِتَابِهِ وَإِمْلائِهِ وَهُوَ عَلَى حَالٍ مِنَ الْمَرَضِ، لأَنَّهُ كَانَ الَّذِي يُمْلِي الْكُتُبَ عَلَى كُتَّابِهِ، وَقَدْ سَبَقَتْ وَصِيَّتُهُ ﷺ بِاتِّبَاعِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى فَيُكْتَفَى بِتِلْكَ الْوَصِيَّةِ. وَلاَ يُكَلَّفُ مَا يُدْخِلُ عَلَيْهِ تَعَبًا فِي مَرَضِهِ، وَهَذَا أَحْسَنُ تَقْدِيرٍ وَاللهُ أَعْلَمُ.

❊ ❊ ❊ ❊

فَصْلٌ نَخْتِمُ بِهِ الْكِتَابَ

قَالَ الْعُلَمَاءُ: كَانَتِ الْخِيرَةُ فِيمَا جَرَى مِنْ عَدَمِ النَّصِّ عَلَى وَاحِدٍ مُعَيَّنٍ، وَأَنَّهُ لاَ كِتَابٌ وَلاَ غَيْرُهُ، لأَنَّهُ كَانَ حُكْمَ اللهِ تَعَالَى فِي الأُمَّةِ، وَهُوَ أَنْ يَخْرُجَ ﷺ مِنْ بَيْنِهِمْ وَيَتْرُكَ أَمْرَهُمْ بَعْدَ كَمَالِ الدِّينِ وَتَقْرِيرِ الشَّرِيعَةِ حَتَّى يُنَصِّبُوا مَنْ يَرَوْنَهُ أَهْلًا، وَأُمَّتُهُ لاَ تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلاَلٍ، فَإِذَا أَجْمَعُوا عَلَى وَاحِدٍ وَجَبَ الانْقِيَادُ إِلَيْهِ. وَلَوْ كَتَبَ كِتَابًا فَخَالَفَهُ بَعْضُهُمْ لَكَفَرَ بِذَلِكَ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْجَبَ طَاعَتَهُ وَقَالَ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١]. فَشَدَّدَ الْوَعِيدَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، وَعَظَّمَ وَشَرَّفَ قَدْرَهُ. فَكَانَ تَرْكُ الْكِتَابِ أَوْلَى وَحِكْمَةً مِنَ اللهِ تَعَالَى هِيَ الأَحْرَى. وَلَمْ يَتَمَشَّ ذَلِكَ صَلاَحًا مِنْهُ تَعَالَى وَرَحْمَةً لِلأُمَّةِ، وَنَظَرًا لِمُتَّبِعِي نَبِيِّ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ الَّذِي بَعَثَهُ دَاعِيًا إِلَى سَبِيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ، فَاجْتَهَدَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ فِي الْجِهَادِ، وَأَظْهَرَ الْجَلَدَ فِي مَوَاطِنِ الجِلادِ، حَتَّى بَسَقَ[٢] الْحَقُّ وَظَهَرَ،

---

(١) سورة النور: الآية: ٦٣.

(٢) بسق: علا. قال ابن فارس: الباء والسين والقاف أصل واحد، وهو ارتفاع الشيء، وعلوه قال الخليل: يقال بسقت النخلة بسوقا إذا طالت وكملت، وفي القرآن ﴿والنخل باسقات﴾ أي طويلات.... ويقال: بسق الرجل: طال، وبسق في علمه: علا. معجم مقاييس اللغة مادة ب-س-ق الجزء الأول (ص٢٤٧).

وَزَهَقَ الْبَاطِلُ وَدَثَرَ، وَدَعَاهُ اللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ إِلَيْهِ ﷺ بَعْدَمَا ارْتَفَعَتْ بِهِ أَعْلاَمُ الْهُدَى وَاضِحَةً، وَاسْتَنَارَتْ شَرِيعَتُهُ لاَئِحَةً، وَقَطَعَ اللهُ بِهِ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ. وَخَلَفَهُ مَنِ اقْتَفَى أَثَرَهُ، وَمَشَى عَلَى مِنْهَاجِهِ الْقَوِيمِ وَسُنَنِهِ، وَقَامَ بِوَظَائِفِ دِينِهِ وَسُنَنِهِ، وَتَابَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ حَتَّى إِلَى الآنَ لاَ يَنْجُمُ[١] لِلْكُفْرِ قَرْنٌ إِلاَّ رَضِخَ[٢]، وَلاَ يَنْعِقُ بِهِ نَاعِقٌ إِلاَّ شَدَخَ[٣]، وَلاَ جُيِّشَ لَهُ جَيْشٌ إِلاَّ عَكَسَ وَلاَ رُفِعَ لَهُ عَلَمٌ إِلاَّ نُكِسَ، وَلاَ سَرَتْ لَهُ سَرِيَّةٌ إِلاَّ نُكِبَتْ، وَلاَ طَلَعَتْ لَهُ طَلِيعَةٌ إِلاَّ سُلِبَتْ، وَلاَ أُوقِدَتْ لَهُ نَارُ حَرْبٍ إِلاَّ خَبَتْ، وَلاَ أُجْرِيَتْ لَهُ خَيْلٌ إِلاَّ كَبَتْ، وَلاَ أُنْضِيَتْ[٤] لَهُ سُيُوفٌ إِلاَّ نَبَتْ[٥]،

---

(١) لا ينجم أي لا يظهر ولا يطلع، من نجم الشيء ظهر وطلع وبابه دخل يقال: نجم السن والقرن والنبت إذا طلعت. مختار الصحاح مادة ن-ج-م (ص٦٤٧.

(٢) رُضِخَ: أي كسر. قال ابن فارس: فالرضخ الكسر، وهو الأصل، ثم يقال رضخ له إذا أعطاه شيئا ليس بالكثير كأنه كسر من ماله كسرة، معجم مقاييس اللغة مادة ر-ض-خ (٤٠٢/٢).

(٣) الشدخ: كسر الشيء الأجوف، وبابه قطع / وشدخ رأسه فانشدخ. مختار الصحاح مادة ش-د-خ (٢٥٦/٣).

(٤) قال ابن فارس: «النون والضاد والحرف المعتل وأكثره الواو: أصل صحيح يدل على سري الشيء وتدقيقه وتجريده، منه نضا السيف من غمده، ونضا السهم: مضى، ونضا الفرس الخيل: سبقها، كأنه انجرد مما بينها. ونضا الحناء عن اليد: ذهب، ونضوت ثوبي: ألقيته عني. والنضو من الإبل: الذي أنضته الأسفار، كأنه برته وجردته من اللحم...» معجم مقاييس اللغة (٤٣٦/٥-٤٣٧). وقال صاحب مختار الصحاح: نضا ثوبه: خلعه، ونضا سيفه: سله. وانتضى سيفه: مثله. مختار الصحاح مادة ن - ض - ا (ص٦٦٥).

(٥) نبا السيف: إذا لم يعمل في الضريبة. مختار الصحاح مادة ن- ا (ص٦٤٤) وقال ابن فارس النون والباء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع في الشيء عن غيره =

وَلاَ أُعْمِلَتْ لَهُ عَوَامِلُ إِلاَّ تَلاَشَتْ، وَلاَ فُوِّقَتْ[١] لَهُ سِهَامٌ إِلاَّ طَاشَتْ نُصْرَةً لِنَبِيِّهِ وَأَمِينِهِ عَلَى وَحْيِهِ وَصَفِيِّهِ، وَعَقْدًا لِدِينِهِ دُونَ حَلِّهِ كَمَا وَعَدَ (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)[٢]. وَرُفِعَ بِرَفْعِ دُجَى خَطْبِهِ ثِقْلُ إِصْرِهِ وَكُلِّهِ ﷺ لاَ تَنْقَطِعُ مَدَى الأَنْفَاسِ، كَمَا جَعَلَ دِينَهُ هُوَ الظَّاهِرُ الْقَائِمُ يَتَّبِعُهُ كُلُّ النَّاسِ، وَأَبْقَى لِنِظَامِهِ وَإِقَامَتِهِ فِي قَانُونِ قِوَامِهِ مُلُوكًا يُقِيمُونَ مِيزَانَ الْعَدْلِ، وَيَنْزِلُونَ مَنَازِلَ الإِفْضَالِ وَالْفَضْلِ، وَأَبْقَى مَوْلاَنَا السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الْكَامِلَ الْعَادِلَ الْعَالِمَ الْفَاضِلَ نَاصِرَ الدُّنْيَا وَالدِّينِ عِزَّ مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ ظَهِيرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُقِيمُ لِلإِسْلاَمِ حُدُودًا وَيُسْعِدُ لَهُ جُدُودًا، وَلاَ يَبْرَحُ بِهِ مَسْعُودًا مَا لاَحَ بَرْقٌ وَسَطَعَ، وَأَفَلَ كَوْكَبٌ وَطَلَعَ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ بَدِيعَةُ النِّظَامِ، مُسْتَوْفِيَةٌ شُرُوطَ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ، قَدْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْفَصَاحَةِ فِي أَرْجَائِهَا، وَفَاقَتْ فِي أُفُقِ الْبَلاَغَةِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الذَّبِّ عَنِ الصَّحَابَةِ عَلَى أَكْفَائِهَا، فَهِيَ رَوْضَةٌ تَتَنَزَّهُ مُقَلُ الْخَوَاطِرِ فِي أَنْحَائِهَا...

فَنَرْجِسُهَا يَحْكِي عُيُونًا، وَوَرْدُهَا ... خُدُودًا، جَرَتْ أَجْفَانُ عُشَّاقِهَا دَمَا
وَإِنْ هَبَّ مُعْتَلُّ النَّسِيمِ تَأَرَّجَتْ ... وَفَاحَ بِمِسْكٍ نَشْرِهَا وَتَنَسَّمَا

وَذَلِكَ بِفَضْلِ اللهِ وَطَوْلِهِ، وَبِسَعَادَةِ مَنِ اسْتُنْبِطَتْ مِنْ أَجْلِهِ...

= أو تنح عنه... ونبا السيف عن الضريبة تجافى ولم يمض فيها، انظر معجم مقاييس اللغة مادة ن-ب-و (٥/٣٨٤).

(١) فوقت: جمعت، والأفاويق: ما اجتمع من الماء في السحاب. وفوق السهم سمي كذلك لأن الوتر يجعل فيه كأنه قد رد فيه والجمع أفواق، ويقال: سهم أفوق إذا انكسر فوقه. معجم مقاييس اللغة مادة ف-و-ق (٤/٤٦١-٤٦٢).

(٢) قوله تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ورد في سورة التوبة، الآية: ٣٣. وورد أيضا في الآية ٢٨ من سورة الفتح، وفي الآية ٩ من سورة الصف.

أَعَمُّ الْوَرَى جُودًا وَأَرْفَعُهُمْ ذُرَا[1] وَأَرْجَحُهُمْ حِلْمًا وَأَمْنَعُهُمْ حِمَى

وَأَعْظَمُهُمْ مُلْكًا وَأَنْدَاهُمْ يَدَا وَأَجْدَرُهُمْ عَفْوًا إِذَا مَا تَحَكَّمَا

وَأَتْقَى وَأَنْقَى سِيرَةً وَسَرِيرَةً وَأَجْمَلُ بَلْ أَبْهَى وَأَعْلَى تَعَظُّمَا

تَمَّ الْغَرَضُ الْمَقْصُودُ، وَاللهُ تَعَالَى الْمَشْكُورُ الْمَحْمُودُ، وَالْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

كَتَبَهُ لِنَفْسِهِ الْعبد الْفَقِيرُ إِلَى اللهِ الْغَنِيِّ أَصْغَرُ عَبِيدِ اللهِ مُحَمَّدُ بن مُحَمَّدِ بن يَحْيَى السِّبْتِي عَفَا اللهُ عَنْهُ وَرَحِمَهُ.

* * * *

تم تحريره وتوضيحه صبح السبت الموافق للثالث عشر من شهر شوال عام ١٤٢٠هـ

أبو أديب الظاهري
عفا الله عنه وسامحه

---

(١) الدرا بالفتح كل ما استذريت به، يقال: أنا في ظل فلان وفي ذراه: أي في كنفه وستره ودفئه وذر الشيء بالضم أعاليه. واستذرى بفلان: التجأ إليه وصار في كنفه، مختار الصحاح مادة ذ-ر-ا (ص٢٢١-٢٢٢) وانظر أيضا معجم مقاييس اللغة مادة ذ-ر-و الجزء الثاني (ص٣٥٢).

فهرس الموضوعات